مُعِينُ اللَّبِيبِ

فِي جَمْعِ قَصَائِدِ الحَبِيبِ

لِفَخْرِ الهِنْدِ العَلَّامَة الشَّاعِر الأَدِيب

حَبِيب الرَّحْمٰن العُثْمَاني الدِّيُوبَنْدِيّ

المُتَوَفّٰى سَنَة ١٣٤٨هـ

نَائِب رَئِيس دَار العُلُوم دِيُوبَنْد ١٣٢٥ - ١٣٤٧هـ

رَئِيس دَار العُلُوم دِيُوبَنْد ١٣٤٧ - ١٣٤٨هـ

جَمْعُ وَتَرْتِيبُ

الأَدِيب الفَقِيه المُفْتِيّ

مُحَمَّد إِعْزَاز عَلِي الأَمْرُوهِي

المُتَوَفّٰى سَنَة ١٣٧٤هـ

قَرَأَهُ وَقَدَّمَ لَهُ

د. مَحْمُود عَبْد الرَّزَّاق الغَوْثَانِيّ

اعْتَنَى بِهِ

مُحَمَّد عَمَّار سَلِيم المَدَنِي

مكتبة قاسم العلوم

مُعِينُ اللَّبِيبِ
فِي جَمْعِ قَصَائِدِ الحَبِيبِ

مُعين اللبيب
في جمع قصائد الحبيب

تأليف: حبيب الرحمن العثماني الديوبندي

الطبعة: الأولى 1445هـ ـ 2023م

الناشر: مكتبة قاسم العلوم

التوزيع: مكتبة قاسم العلوم ودار الرياحين

ردمك: 978-1-7399950-7-2

مكتبة قاسم العلوم للدراسات والتحقيقات العلمية

Qasim al-Ulum

Centre of Islamic Studies and Research

بريطانيا

www.qasimalulum.com | info@qasimalulum.com

+447778703013 | qasimalulum

المدينة المنورة - المملكة العربية السعودية: +966530952458

بيروت - الجمهورية اللبنانية: +9613602762

مُعِين اللبيب
في جمع قصائد الحبيب

لِفخر الهند العلّامة الشّاعر الأديب

حَبيب الرّحمن العُثماني الديوبندي

المتوفى سنة ١٣٤٨هـ

نائب رئيس دار العلوم ديوبند ١٣٢٥-١٣٤٧هـ

رئيس دار العلوم ديوبند ١٣٤٧-١٣٤٨هـ

جمع وترتيب

الأديب الفقيه المفتي

محمد إعزاز علي الأمروهي

المتوفى سنة ١٣٧٤هـ

قرأه وقدم له

د. محمود عبد الرزاق الغوثاني

اعتنى به

محمد عمار بن سليم المدني

مكتبة قاسم العلوم

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

أ. د. محمود بن عبد الرزاق الفوثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالَمينَ القائلِ في كتابِهِ العزيزِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الزخرف: ٣]، والصلاةُ والسلامُ على سيِّدنا محمَّدٍ القائلِ: «إنَّ من البيانِ لَسِحْرا وإنَّ منَ الشِّعْرِ لَحِكْمَةً».

أما بعدُ:

فقدْ اطَّلَعْتُ على الدِّيوانِ الْمَوسومِ بـ«مُعينِ اللَّبيبِ»، وقَرَأْتُه من أوَّلِه إلى آخرِهِ، وضَبَطْتُه ودَقَّقْتُه، فوجَدْتُه واضحَ العِبارةِ رَائعَ الإشارةِ يدُلُّ على أنَّ صاحِبَهُ مُتَمَكِّنٌ من العَروضِ والقَوافي والنَّحْوِ والبَلاغةِ، وقد أُوتِيَ حظًّا من سُهولةِ النظمِ واجْتلابِ القَوافي، وهذا ما يَجْعَلُ هذا الديوانَ مُمَيَّزاً من غيرِه، ولاشكَّ أنَّ موضوعَهُ العامَّ وهو إظْهارُ مُعْجزاتِ النبيِّ ﷺ وشمائِلِه الشريفةِ أضْفَى عليهِ رَوْنَقًا خاصًّا وزادَهُ جَمالًا إلى جَمالِهِ.

وإنِّي إذْ أكتبُ هذا التقريظَ لَأشْكُرُ الأخَ الباحثَ الشيخَ عمار سليم المدنيَّ

الَّذي أكرَمَني بنُسْخةٍ من الديوانِ وطلبَ منِّي قراءَتَها وضَبْطَها، وأسألُ اللهَ ﷻ أن يُباركَ به ويَجْعلَ هذا العملَ خالِصًا لوجْهِهِ الكريمِ؛ إنَّه وليُّ ذلكَ والقادرُ عليهِ.

وصلَّى اللهُ على سيِّدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبِهِ وسلَّمَ.

محمود عبد الرزّاق الغوثاني

مدرس اللغة العربية في كلية العلوم الإسلامية

جامعة موش ألب أرسلان التركية

مقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ لله الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، القائل: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلۡغَاوُۥنَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمۡ تَرَ أَنَّهُمۡ فِي كُلِّ وَادٖ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمۡ يَقُولُونَ مَا لَا يَفۡعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٖ يَنقَلِبُونَ﴾ [الشعراء: ٢٢٤-٢٢٧]، وصلَّى اللهُ وسلم على سيِّدنا محمَّدٍ الذي وهبه الله تعالى أفصح لسان وأكمل بيانٍ وأجمل كلامٍ، القائل: «إنَّ من الشِّعرِ حِكمةً»، ورضي الله تعالى عن آله وأصحابه خصوصًا شعراءه الذين آمنوا وعملوا الصَّالحات، ومَن تبعهم إلى يوم المعاد.

أمَّا بعد:

إنَّ من أرقى أنواع البيان هو الشِّعر الذي ملَك ناصية البلاغة والفصاحة، فإنَّ الشعر له مكانة عُظمى؛ حيث كان ترجمان العرب، وقلم دفتر أحوالهم، يُسجِّل أيَّامهم، ويُخلِّد إنجازاتهم ومآثرهم. وقد تنوَّعت أغراض الشِّعر في الجاهلية بين الغزل والوصف، والفخر والرثاء، والمدح والهجاء.

وقد عرف الإسلام مكانة الشِّعر؛ فهذَّبه وقيَّده؛ وألزم الشُّعراء بقول الصدق

وعدم المبالغة. لذلك لمَّا نزلت: ﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ ﴾ [الشعراء: ٢٢٤]، جاء حسان بن ثابت، وعبد الله بن رواحة، وكعب بن مالك ﷺ إلى رسول الله ﷺ، وهم يبكون، فقالوا: «قد علم اللهُ حين أنزل هذه الآية أنَّا شعراء، فتلا النبيُّ ﷺ: «﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا۟ ﴾ [الشعراء: ٢٢٧]»[1]، فأخبرهم أنَّ الله قد استثنى صنفًا من الشُّعراء، هم المؤمنون الذين يُكثرون من ذِكر الله والعمل الصَّالح. وقد قال النبيُّ ﷺ كما في «الأدب المفرد»: «الشِّعر بمنزلة الكلام، حسَنُه كحسَن الكلام، وقبيحُه كقبيح الكلام»[2].

وقد انبرى الشُّعراء من الصَّحابة بأشعارهم في مدح رسول الله ﷺ، والدِّفاع عن الإسلام، والرَّدِّ على الشُّعراء الجهَّال، شعرًا قويًّا غنيًّا بالمادَّة الكلامية والحِكمة البالغة.

وها هو سيِّدنا أبو بكر الصِّدِّيق ﷺ يرثي النبيَّ ﷺ:

فُجِعْنَا بالنَّبِيِّ وَكَانَ فِينَا ... إِمَامَ كَرَامَةٍ نِعْمَ الإِمَامُ
وَكَانَ قِوَامَنَا وَالرَّأْسَ فِينَا ... فَنَحْنُ اليَوْمَ لَيْسَ لَنَا قِوَامُ
نَمُوجُ وَنَشْتَكِي مَا قَدْ لَقِينَا ... وَيَشْكُو فَقْدَهُ البَلَدُ الحَرَامُ

وقد استدعى النبيُّ ﷺ شعراءه قائلًا: «اهجُوا قُريشًا، فإنَّه أشدُّ عليها من

(١) «تفسير الطبري»: ١٧/ ٦٧٨.

(٢) «الأدب المفرد»: ٨٦٥.

رشقِ بالنبل»، ولَمَّا قام حسان بن ثابت ﷺ يهجو قُريشًا دفاعًا وجوابًا على هجاء قريش للنبيّ ﷺ، قال له النبيُّ ﷺ: «**إنَّ روح القدس لا يزال يُؤيِّدك ما نافحْتَ عن الله ورسوله**»، وقال: «**هجاهم حسان فشفَى واشتفى**»[1].

وليس هناك شكٌّ أنَّ شُعراء الرسول ﷺ كانوا قدوةً للشُّعراء بعدهم، فسلكوا مَسلكهم، وساروا على نهجهم، وحذوا حذوهم، وبهُداهم اقتدوا؛ حتى امتلأت المكتبات وحفل التاريخ بقصائد، سطَّرها فحول الشُّعراء عبر العصور، ذات السَّبْك الجيِّد، والكلام العذب، وحُسن البلاغة، وصِدق العاطفة.

ومن أولئك البارزين في هذا الفنِّ صاحب هذا الديوان، فخر الهند العلَّامة الأديب الشيخ حبيب الرحمن العثماني الديوبندي، الذي قرض قصائد عديدة في مدح الرسول ﷺ، والثناء، والرثاء.

وكان للشيخ ذوقٌ أدبيٌّ رفيع، وكان أديبًا بارعًا، له قُدرة فائقة وعالية على قرض الشِّعر باللغات الثلاث؛ العربية والفارسية والأردية. وقصائده تدلُّ على أنَّ لديه قوَّة السَّبْك اللغوي، وحُسن الصياغة، وجمال الأدب، وجودة التعبير، وجلال لغة العلماء. وتمتاز قصائده بأسلوب رشيق أنيق سلس فصيح، والأصالة اللغوية التي يمتاز بها فحول الشُّعراء، ولذلك قال لي أستاذنا وحبيبنا الأديب الدكتور محمود الغوثاني: «مَن لا يعرف صاحب الشِّعر يظنُّ أنَّه من العصر العبَّاسي، لقوَّة ألفاظه وبلاغته وفصاحته».

---

(١) «صحيح مسلم»: ٢٤٩٠.

نظم الشيخ هذه القصائد في حياته مع اشتغاله بأمورٍ كثيرة، وبالأخصّ كان نائبًا لرئيس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند الشيخ العلّامة الحافظ محمد أحمد بن محمد قاسم النانوتوي (المتوفّى ١٣٤٧هـ)، فكان له مشاغل إدارية كثيرة، قد أدّى مهامّه على أكمل وجه، وكذلك عُيِّن في منصب المفتي العام بعد وفاة الشيخ أحمد، ومع هذا كان يُدرِّس بعض الكتب في دار العلوم، وله مُؤلَّفات مُهمَّة باللغة الأردية.

وهذا الديوان يشتمل على عدَّة قصائد قرَضها الشيخ، ومن أروعها وأشهرها: «لامية المعجزات» التي تلقَّت قبولًا واسعًا، قد جمع فيها ١٠٠ معجزة للنبيِّ ﷺ، وقال في مُقدِّمتها: «إنَّ مَن حفظها ووعاها يُحيط علمًا بمعجزات كثيرة لم يقرع سمعه، ولا يمكن الوصول إليها إلَّا بشقِّ الأنفس؛ في مُطالعة الكتُب التي صُنِّفت في هذا الباب، وإنَّ ذلك أمرٌ لا يتيسَّر لكلِّ أحدٍ بسهولة وفي كلِّ حين. واعلم أنَّ مُعجزاته ﷺ لَمَّا لم تكن داخلة في العدِّ والإحصاء، ولا يُمكن لأحدٍ إحاطتها وإحصاؤها اقتصرتُ منها في هذه القصيدة على مائة مُعجزة، وسَمَّيتها «مائة مُعجزة»، ولقَّبتها بـ«لامية المعجزات»، وجعلتها أنواعًا، ووضعتُ في كلِّ نوعٍ معجزات ذلك النوع»[1]. وقد طُبِعت هذه القصيدة مُفردة في حياة الشيخ ببعض التعليقات من الشيخ إعزاز علي الأمروهي باللغة العربية.

وجاءت أيضًا في هذا الديوان قصيدة «بائية المعجزات»، جمع فيها أيضًا

(١) مقدِّمة «لامية المعجزات» التي طُبِعت مُفردةً بعناية المُفتي إعزاز علي الأمروهي.

١٠٠ معجزة للنبيّ ﷺ غير التي في «لامية المعجزات».

وكذلك من قصائده المشهورة «قصيدة همزية»، التي عُرِفت بـ«قصيدة أخلاقية مناجية»، ولُقِّبَت بـ«حكمة الشعر»، جاءت في هذا الديون باسم «قصيدة همزية»، وهذه القصيدة كما قال الشيخ نفسه: تتضمَّن: «ذِكر صروف الزمان وطوارق الحدَثَان، ثم تقلُّب الأحوال بالفرَج بعد الشدَّة، وتتضمَّن الإرشاد إلى التخلُّق بالأخلاق الفاضلة والمَلَكات الراسخة، والتمسُّك بالأعمال الصَّالحة، ثم الانتقال إلى إظهار مَسكنة ومَضرَّة الابتلاء بالمعاصي والذنوب، ثم الابتهال والتضرُّع إلى الله ﷻ بالمناجاة والدُّعاء، والتوسُّل بجاه سيِّد الكونين، صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم».

وقد طُبِعت هذه القصيدة مُفردة بترجمته إلى الأردية وحواشي الشيخ إعزاز علي الأمروهي بالأردية. وقد قدَّم الشيخ إعزاز علي الأمروهي هذه النسخة بدراسة علمية رصينة عن هذه القصيدة، وتوضيح الأساليب والصنائع اللغوية البلاغية التي وردت في هذه القصيدة، التي تُلقي الضوء على مَرتبة الشيخ حبيب الرحمن العالية وقُدرته الفائقة على علوم اللغة العربية وقَرْض الشِّعر.

فجاء في هذا الديوان ٢٤ قصيدةً قَرَضها الشيخ ﷫، وقصيدتان قَرَضهما الشيخ إعزاز علي الأمروهي؛ الأولى في رثاء الشيخ حبيب الرحمن والأخرى في رثاء الشيخ محمد أحمد القاسمي، وجاءت في نهاية الكتاب قصيدة في رثاء الشيخ حبيب الرحمن العثماني قَرَضَها الشيخ عبد الرحمن السيهواري.

وكان من أُمنية الشيخ ﷺ أن يخرج هذا الديوان بحُلَّة قشيبة وطباعة فاخرة، كما أظهر ذلك للشيخ محمد إعزاز علي الأمروهي كما في مُقدِّمة الشيخ، فلمَّا قرأتُ ذلك؛ استخرتُ الله تعالى وعليه توكَّلتُ، وشرعتُ في تحقيق وإخراج هذا الديوان كما تمنَّاه الشيخ، علمًا بقلَّة أهليَّتي لذلك، وفاءً وحبًّا للشيخ، وردًّا لإحسانه وعطائِه وكرمه على الأمَّة المحمَّديَّة، راجيًا من الله تعالى أن ننال بركته؛ فـ«إنَّ البركة مع أكابركم».

عملي في هذا الديوان

١ – أثبتُّ النَّصَّ كما هو في المطبوع مُراعيًا قواعد الإملاء واللغة، كما أراده الناظم، غفر الله له ونفعنا بعلمه وفضله.

٢ – طلبت من الأستاذ الحبيب عبد الرزاق الغوثاني قراءة الديوان وضبطه، ومراجعته.

٣ – جمعتُ ترجمة للنَّاظم مع قلَّة المصادر المتوفِّرة عن حياته وآثاره، وذكرتُ بعض مُؤلَّفاته التي وقفتُ عليها.

٤ – ترجمتُ للجامع الشيخ المفتي إعزاز علي الأمروهي ترجمةً وجيزة؛ ليطَّلع عليها ويستفيد منها القارئ.

٥ – ترجمتُ ترجمة وجيزة للأعلام المذكورين في هذه القصيدة، اجتنابًا لملل القارئ، وللمقولة المشهورة: «خير الكلام ما قلَّ ودلَّ».

٦ – نقلتُ مُقدِّمة الجامع المفتي إعزاز علي الأمروهي من اللغة الأردية، وأثبتُّها في مُقدِّمة الكتاب.

٧ – أثبتُّ تعليقات الناظم في الهامش، وميَّزتها بكلمة (الناظم).

ولا يسعني في هذا المقام إلا أن أُقدِّم جزيل الشكر للأستاذ الحبيب الدكتور محمود بن عبد الرزاق الغوثاني الذي أكرمني بقراءة هذا الديوان وضبطه، وكذلك للأخ الحبيب الدكتور محمد شكيب القاسمي الذي أرسل لي نسخة إلكترونية من الكتاب، وكذلك أوجِّه الشكر للوالدين الكريمين اللذين لهما فضلٌ كبير في حياتي، وكذلك جميع مَشايخي النُّبلاء، ولو علَّمني حرفًا، فالله أسأل أن يجعل هذا في موازين حسناتهم.

وما كُنتُ أهلًا للَّذي قَدْ كتبْتُهُ   وإنِّي لَفِي خوفٍ من الله نادمُ

ولكنَّني أرجُو منَ اللهِ عفْوَهُ   وإنِّي لِأهلِ العلمِ لا شكَّ خادمُ

أخيرًا أختمُ بما ختم الشيخ حبيب الرحمن العثماني مُقدِّمة «لامية المعجزات»، فإني أولى وأحوج إلى ما ذكر حيث قال: «ولعلَّك أيُّها الأخ البارُّ إذا طالعتها؛ ترى فيها من عُيوب الشِّعر ولَحْن الكلام أشياء تُنكرها، فاعلم أنَّ هذا جهد المُقِلِّ من أخيك المسلم ... سامح عمَّا فيها من الزَّلَل والخطأ، وادعُ لي بحُسن الخاتمة، وبيده التوفيق».

وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، والحمدُ لله ربِّ العالمين.

كتبه

خادم العلم والعلماء

محمد عمار سليم المدني

١ جمادى الثاني ١٤٤٤هـ

ترجمة النّاظم[1]

فخر الهند العلامة الشاعر الأديب مَولانا

حبيب الرّحمن العثماني الديوبندي

هو العالِم الجليل والفقيه النبيل، الأديب الأريب والشَّاعر الكبير، المحسن الكريم العلَّامة الفهَّامة، فخر الهند، مولانا محمد حبيب الرَّحمن، ابن الأديب الأريب العلَّامة فضل الرَّحمن الديوبندي العثماني (المتوفَّى ١٣٢٥هـ)؛ وكان أبوه من أصحاب الإمام الحُجَّة محمد قاسم النانوتوي وأحد مُؤسِّسي دار العلوم ديوبند.

وهو شقيق المفتي الكبير العلَّامة عزيز الرَّحمن العثماني (المتوفَّى ١٣٤٧هـ)، والعلَّامة الحُجَّة شيخ الإسلام شبِّير أحمد العثماني (المتوفَّى ١٣٦٩هـ) أخوه لأبيه، وله غيرهما من الإخوة.

ينتهي نسبه إلى أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين سيِّدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه.

---

(١) مصادر الترجمة: «حيات عثماني»، و«تاريخ دار العلوم ديوبند»، و«مشاهير علماء ديوبند»، و«أكابر علماء ديوبند»، و«تذكرة أولياء ديوبند»، و«أنوار عثماني».

وُلِد الشيخ بعد سنة ١٢٧٦هـ بمدينة ديوبند، في بيت العلم والصَّلاح كما تقدَّم، نشأ وترعرع في بيئة علمية ثقافية صالحة.

درَس جميع مراحل الدراسة وتلقَّى العلوم والفنون من حفظ القرآن الكريم، وكتُب اللغة؛ الأردية والفارسية والعربية، والمنطق، والعقائد، والفقه وأصوله، والتفسير وأصوله، إلى «الكتُب الستَّة» في دورة الحديث بدار العلوم ديوبند، وتخرَّج فيها سنة ١٣٠٠هـ على يد كِبار مَشايخها في ذاك الوقت.

ومن أولئك المشايخ: الشيخ يعقوب النانوتوي (المتوفَّى ١٣٠٢هـ)، والشيخ ذو الفقار علي الديوبندي (المتوفَّى ١٣٢٢هـ)، وقد أجازه الإمام الربَّاني رشيد أحمد الگنگوهي (المتوفَّى ١٣٢٣هـ) في الحديث والسُّلوك، وشيخ الهند محمود حسن الديوبندي (المتوفَّى ١٣٣٩هـ) وكان كثير الملازمة له.

في سنة ١٣٢٥هـ أظهر رئيس الجامعة العلَّامة الحافظ محمَّد أحمد ابن الإمام الحُجَّة محمَّد قاسم النانوتوي احتياجه إلى نائبٍ يُعينه في الأعمال الإدارية بدار العلوم ديوبند، فاستشار مجلس الشورى لاختيار نائبٍ مُناسب ذي عقل كاملٍ وعلم وافرٍ ورأيٍ صائب لهذا المنصب، فاقترح مجلس الشورى بدار العلوم أن يتمَّ تعيين الشيخ حبيب الرَّحمن نائبًا له، فكان نِعْمَ الاختيار. وكان له دور كبير في تطوير الجامعة وتوسيعها، وجهود جبَّارة في ازدهار وترقية الجامعة، حتى ذُكِر أنَّه كان يسكن في الجامعة؛ لكي يعتني بالأمور الإدارية بشكل أكبر ومُباشر.

مع اهتمامه البالغ بإدارة دار العلوم كان له اهتمام بالشؤون السياسية بالهند أيضًا، ولذلك أوصى شيخ الهند محمود حسن الديوبندي تلميذه شيخ الإسلام الشيخ حسين أحمد المدني: أن لا تستغني جمعية عُلماء الهند مشاورة شخصين في جميع أمورهم، أحدهما: صاحبنا العلّامة حبيب الرّحمن، والثاني: المفتي كفاية الله الدهلوي (المتوفّى ١٣٧٢هـ).

فلذلك لَمَّا عقد المؤتمر الكبير لجمعية علماء الهند في سنة ١٣٤٠هـ في ولاية بهار بالهند، تَمَّ تعيينه رئيس المؤتمر، وكانت كلمته في المؤتمر قيّمة ومُؤثِّرة جدًّا، ونالت إعجاب الحضور، وبالأخصّ مِن قبل السياسيين الحاضرين.

وفي سنة ١٣٤٤هـ بسبب تقدُّم العمر استقال العلّامة الحافظ محمَّد أحمد من منصب المفتي العام بحيدرآباد، فتمَّ تعيين العلّامة حبيب الرّحمن في هذا المنصب، بقي على هذا المنصب لمدّة سنة ثم رجع إلى ديوبند وواصل مهامَّه نائبًا لرئيس الجامعة ومُدرِّسًا بالجامعة.

من أشهر تلامذته: حكيم الإسلام العلّامة القارئ محمَّد طيب القاسمي (المتوفّى ١٣٣٣هـ)، والمحدِّث المفسِّر الشيخ محمد إدريس الكاندهلوي (المتوفّى ١٣٣٣هـ)، والمفتي الكبير الشيخ محمد شفيع العثماني (المتوفّى ١٣٣٣هـ)، وشيخ الإسلام الشيخ حسين أحمد المدني (المتوفّى ١٣٣٣هـ)، والشيخ عبيد الله السندي (المتوفّى ١٣٣٣هـ)، وشيخ الحديث المحدِّث أصغر حسين الديوبندي (المتوفّى

١٣٣٣هـ)، والشيخ إعزاز علي الأمروهي (المتوفَّى ١٣٣٣هـ)، والشيخ السيد بدر عالم الميرتهي (المتوفَّى ١٣٣٣هـ)، وكذلك استجازه جماعةٌ منهم: الشيخ محمد الزمزمي بن محمد بن جعفر الكتاني (المتوفَّى ١٣٧١هـ)، ويذكر تلامذته محاسنَه في مُؤلَّفاتهم بكلِّ أدَبٍ واحترامٍ وإجلالٍ، وكان كثير الاعتناء بهم وكثير العطف عليهم، يحبُّهم ويحبُّونه حبًّا جمًّا، وكان كثيرًا يُشجِّعهم على الدراسة والتدريس والتأليف، وكان يُساعدهم في جميع ما يحتاجون منه.

لَمَّا تُوفِّي الحافظ محمد أحمد في سنة ١٣٤٧هـ تَمَّ تعيينه رئيسًا لدار العلوم ديوبند، ومكث على هذا المنصب إلى وفاته.

كان العلَّامة حبيب الرَّحمن كتبيًّا، شغوفًا بالقراءة، واسع الاطلاع، موسوعيَّ المعرفة، كثير الاهتمام بالتاريخ واللغة والأدب، ومُلِمًّا بالشؤون الإدارية والسياسية.

ولذلك فإنَّ الإمام المحدِّث العلَّامة محمد أنور شاه الكشميري كان يقول: «إذا كان هناك من يُثير إعجابي بمعرفته الواسعة، هو مَولانا حبيب الرحمن».

وكان الشيخ المفتي شفيع العثماني يقول: «كان صاحب علم غزير، وعمل صالح كثير، وكانت عادته على الرغم من انشغاله بالأعمال الإدارية، إلا أنَّه كان يُراقب طلبة دار العلوم بشكل خاصٍّ، وكان يُحاول قدر الإمكان إبراز مواهبهم بتشجيعهم على ما أُعطوا من مَوهبة».

وكان حكيم الإسلام العلَّامة المقرئ محمد طيب القاسمي يقول: «لقد وهبَه اللهُ تعالى قوَّة علميَّة، وفقهًا عميقًا، وفهمًا راسخًا في العلوم الشرعية، وكان بارعًا جدًّا في اللغة العربية، نثرًا ونظمًا، له مُؤلَّفات قيِّمة حظيت بقبول عامٍّ بين العلماء وعامَّة الناس، وكان شخصية قياديَّة بمعنى الكلمة، يمتلك صفات إداريَّة عالية، ويُواجه جميع الأحداث بالحِكمة والحنكة».

تُوفِّي هذا العالم الجليل في ٤ من رجب سنة ١٣٤٨هـ بديوبند، ودُفِن في المقبرة القاسمية. رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته.

❖ مُؤلَّفاته:

«إشاعتِ إسلام» - ألَّف هذا الكتاب في الجواب عن سؤال: كيف انتشر الإسلام في العالَم؟ أجاب عن هذا السؤال في أكثر من ٥٠٠ صفحة، يستعرض فيه المؤلِّف أسباب ودوافع انتشار الإسلام، والقصص العجيبة تُذكر في هذا الباب. باللغة الأردية.

«تعليماتِ إسلام» - ناقش في هذا التعليمات الإسلامية المتعلِّقة بالسياسة الشرعية، والنظام الإسلامي، ووضَّح مكانة الشورى في النظام الإسلامي وما حُكمها، وما مدى أهميتها، وكيف يأخذ بها الأمير أو الحاكم أو الرئيس. باللغة الأردية.

«حاشية على الجلالين» - حاشية على تفسير الجلالين.

«حاشية على المقامات للحريري» - حاشيته النفيسة على كتاب «المقامات» المشهور.

«رحمة للعالَمين» - كتابٌ في السيرة النبويَّة، لم يُكمله ولم يُنشر بعد، يسَّر الله إخراجه. باللغة الأردية.

«مُعين اللبيب في جمع قصائد الحبيب» - وهو كتابنا هذا.

ترجمة الجامع الشيخ المفتي
مولانا محمد إعزاز علي الأمروهي

هو سيبويه زمانه، شيخ الأدب واللغة، الفقيه المفتي، الشيخ مَولانا محمَّد إعزاز علي بن مزاج علي بن حسن علي الأمروهي الديوبندي. وُلد في عام ١٣٠٠هـ في أمروهه في ولاية مرادآباد، ونشأ في مدينة شاه جهانفور.

درَس في عدَّة جامعات؛ فبدأ مراحل التعليم ببعض الكتُب الابتدائية عند الشيخ المفتي مَولانا كفاية الله الدهلوي في شاه جهانفور، ثم التحق بدار العلوم ديوبند ودرس بعض الكتُب فيها، ثم انتقل إلى ميرته ودرس في بعض مدارسها عند الشيخ مَولانا عبد المؤمن الديوبندي، ومولانا عاشق إلهي الميرتهي، ثم رجع إلى دار العلوم ديوبند وقرأ «الكتُب الستَّة» وغيرها عند مشايخها، منهم: شيخ الهند الشيخ مولانا محمود حسن الديوبندي، وتخرَّج فيها في عام ١٣٢٠هـ.

بعد أن أتمَّ دراسته فيها، ذهب إلى بهار وبدأ بالتدريس في المدرسة النعمانية لمدَّة سبع سنين، ثم رجع إلى مدينة شاه جهانفور ودرس في مدرسة أفضل المدارس ثلاث سنين. ثم في عام ١٣٣٠هـ تَمَّ تعيينه في منصب الإفتاء في دار العلوم ديوبند. فكان يُدرِّس كتُب الحديث، والفقه، والأدب العربي، ويُفتي فيها.

تُوفِّي هذا الأديب الفقيه في ١٢ رجب سنة ١٣٧٤هـ. وقد ترك مُؤلَّفات قيِّمة، منها: حواشي قيمة على كتُب الفقه كـ«مختصر القدوري»، و«نور الإيضاح»، و«كنز الدقائق» وغيرها، وله أيضًا حاشية على «ديوان الحماسة» و«ديوان المتنبي»، وله «نفحة العرب» في الأدب العربي. وكان له اهتمام بالغ في نشر الكتب، وسعى في ذلك كثيرًا.

وصف النسخة المعتمدة في هذا الديوان

نشر هذا الديوان مرَّة واحدة فقط، وذلك بجمع الشيخ محمد إعزاز علي الأمروهي، من المكتبة الإعزازية الديوبندية في سنة ١٣٥٠هـ، وطبع على نفقته من مطبعة جامعة برقي پريس دهلي.


معين اللبيب

في جمع

قصائد الحبيب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى

الجزء الأول

دعاء المضطر

انشأتها حين ما احاطت بي الآثام والذنوب وطوحت
بي طوائح الآلام والكروب واقلقتني الامراض والاوجاع
وسلمتني بيد المهالك الى الضياع وضرتني الادواء والاسقام
فبصير يجفني السهاد والناس نيام اذكرها الآخرة واحث
على الاعمال الصالحة وفيها طريقة الامتثال بقوله تعالى
شانه أمّن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وهي قصيدة
على منوال القصيدة الميمونة البرديه وارجو من فضل الله
ورحمته ان يتقبلها كما تقبل تلك القصيدة الغراء ١

دعا ودعا ريم الظباء وأودعا	١	بكور الحمى في الحي رهنا مضيعا
وسمرا وسمارا ولحظا وصبوة	٢	وربعا خلاء دارس الرسم أقرعا
وهجرا وصرما واصطبارا وسلوة	٣	دنانا وخمارا وراحا مشعشعا
وقولا لطيفا سار في غسق الدجى	٤	يمثل أطلالا مصنفا ومربعا

فارت منابعه جالت مطالعه | لا ما عرفيه ولا ام هي لدى صخب
حتى اعتنى احسن الاعلام السنا | مكان خلقتها بيضا من العصب
حلاً وكشفاً وايضاحاً وتنقية | عن ذهنهم كلهم لا اهلا لطوا الريب
وكنت اذ ذاك تلو الشيخ مجتهداً | في بسط مجمله نقلاً عن الكتب
فصار من حسن مرآه ومطلعه | كالبدر في طلوع والشمس في الحجب
لكنه كان من تطويل تحشيته | محجباً قصرت عنه يد الطلب
والناس مالوا الى تسهيل المرام على | قرب التمام بلا عي ولا نصب
فقام اذ ذاك اعزاز العلى كما | يقوم اهل الحجى اللابن في الحسب
مشمراً حاسراً عن زندين ساعدهم | مشنفاً طرقاً في اذن مرتغب
مستفرحاً ناكباً عن كل من حرج | مذيلاً بابداع منه مستعذب
مسهلاً حفظه فهماً لطالبه | منزلاً خباياها عن مرام صعب
فالله يقبل ما عانى مكابده | سهر الليالي وجلاً انها عجب
وزاده منه طيباً ناعماً ورضى | وناله نهب فاقت على رتب
فهو ذا القمر عطفي وكشطني | ونطقهم اجيال ذوي قرب
وقمت بالحل في تحسين صورته | بالقاسمي فما احلاه في النسب
لتمر بالحلي والتوشيح منجعها | زيناً ومرأى على عرس وى ذهب
فهاك منا عروس الحسن صيغ لها | حلل من الدر والياقوت والذهب
قد زانها حلل ناديها من حلل | من وشي ديباجها زهو على الشهب
وهاك روضاً اريضاً فائحاً عبقاً | تسلوك رياه عن هم ومن نصب
طابت رباريحها راقت مناهلها | عيونها بين منهل ومنسكب
والله اسأل تعميم الثواب به | اياي والناس من عجم الى عرب
وانه قادح للهم كالبعة | والله كاشف للغموم والكرب

مُقدِّمة

الشيخ إعزاز علي الأمروهي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حامدًا ومُصليًا ومُسلِّمًا.

تُوفِّي الشَّيخ الحاج المولوي حبيب الرَّحمن مُدير دار العلوم ديوبند، ليلة الجمعة السَّاعة الثامنة ٤ من رجب سنة ١٣٤٧هـ الموافق ٦ من ديسمبر ١٩٢٩م. وقد أذَّن المؤذِّن للعِشاء، وعباد الله الصالحون كانوا يَسعَوْن إلى أداء الصَّلاة المكتوبة، إذ انتقل الشَّيخ من دار الفناء إلى دار البقاء.

مِنَن الشَّيخ الفقيد ﷺ عليَّ كثيرة؛ لا تكاد تُحصَى ولا تُعَدُّ، ولا أستوفي ذِكرها هنا، ولكن أذكر منها ما يتعلَّق بهذا الكتاب فقط.

أراد الشَّيخ الفقيد طباعة هذه القصائد قبل بضعة أشهر من وفاته، وفوَّض أمرَها إليَّ. ولو كان النَّاسخ وفَّى بعهوده لخرجَت هذه القصائد في طبعة ممتازة وفق إرادته، لكنَّ الله لم يكتب له ذلك. ولَمَّا علم الشَّيخ الفقيد ﷺ بأمر بُطء الكتابة، طلبني يومًا بعد المغرب أن أحضر عنده، فحضرتُ عنده وقال لي: إن

حيثُ سأصرف في طباعتها مبلغًا كبيرًا وأطبعها في طبعة ممتازة، وإن لم يتيسَّر ذلك في حياتي فأُوصيك أن تطبعها حسب استطاعتك.

في ذلك الوقت لم يخطر ببالي أنّي سأحتاج أن أُنفِّذ هذه الوصية، لكن بعد وفاته خطَر ببالي أنَّ عليَّ تنفيذ الوصية، لذلك قمتُ بطباعتها على حسابي، ولم أُكلِّف أحدًا على ذلك.

أثناء ذلك علمتُ أنَّ الشَّيخ الفقيد ﷺ عنده عدَّة مُسوَّدات لهذه القصائد، ومنها ما نسيها الشيخ أيضًا. بحثتُ عنها فوجدتُ بعضها مَطبوعًا وبعضها غير مطبوعٍ، وقد استغرق في ذلك وقتًا كثيرًا وكذلك المال الكثير، وكذلك إذا وَجد أحدٌ أنَّ عنده من قصيدة الشيخ شيئًا فليُرسلها إليَّ؛ لأضمَّها في الطبعة الثانية وسأرُدُّ الأصل إليه عبر البريد.

ستكون هذه القصائد ذكرى للشيخ الفقيد ﷺ، وإن وفَّقني الله تعالى سأترجمها لأهل العلم. وتُعلَم مكانة هذه الأبيات من أنَّ أديبًا من الأدباء لَمَّا سمعها في رحلةٍ لدار العلوم ديوبند فقال: إنَّ من منافع طباعة هذه القصائد أنَّها ستبعث روح الأدب من جديد في طلَّاب المدارس الإسلامية في الهند الذين يظنُّون أنَّ الأدب قد ركدت في هذا العصر ريحُه، وخبت مَصابيحُه، وسيتسابقون في علم الأدب. وإنّي وإن لم أعرف الأدب كثيرًا لكن أرى أيضًا أنَّ هذه القصائد مَظهر لُغة العرب القدماء، وتُبرز فصاحة شعراء الجاهلية. وألحقتُها بقصيدتي التي ذكرتُ فيها عن وفاة الشيخ ﷺ. وإن لم يجد القارئ مُتعة في قصيدتي فعلى

الأقل سيتعرَّف على جمال قصائد الشيخ الفقيد رحمه الله بعد رؤية عيوب قصيدتي.
وفي الأخير أرجو القارئين أن يَدْعوا لي وللشيخ الفقيد رحمه الله.

محمد إعزاز علي
عُفي عنه

مدرس دار العلوم ديوبند ١٧ شوال ١٣٤٨هـ

قصيدة

قُلتُها في رثاءِ الحَبْرِ الجليلِ فقيدِ النَّظيرِ والمثيلِ مولانا الشيخِ حبيبِ الرَّحمنِ العثمانيِّ، مديرِ دارِ العلومِ ديوبند قدَّسَ اللهُ سرَّه، آمينَ. مُخمِّسًا ما قالَ محمدُ بن محمدٍ القُوصيُّ يَرثي الإمامَ محمدًا المعروفَ بابنِ دقيقِ العيدِ ﵀.

[من البحرِ الكاملِ]

قدْ كانَ في حتْفِ الحبيبِ حُتوفي ١ يا دارَ دُنيا أنتِ دارُ صُروفِ

يا رائحًا في ثوبكَ المَلْفوفِ سيطولُ بعدَكَ في الطُّلولِ وُقوفي

أُرْوِي الثَّرى من مَدْمعي المَذْروفِ

كانتْ حياتُكَ لليَتامَى بُغْيَةً ولِلَسْعِ حيَّاتِ النوائبِ رُقْيَةً

مَا خابَ مَنْ يَأْتيكَ يَطْلُبُ كِربةً لو كانَ يُقبلُ فكُّ حَتْفِك فِدْيةً

لَفُدِيتَ من عُلمائِنا بأُلوفِ

لا ينفعُ الإنسانَ جمعٌ دارعٌ إذ جاءَهُ للعُمرِ سيفٌ قاطعٌ

لو كانَ من سُودِ الخُطوبِ مَصانعٌ أو كانَ من حُمْرِ المَنايا مَانعٌ

مَنَعَتْكَ سُمْرُ قَنًا وبِيضُ سُيُوفِ

يـا أيُّهـا الطـلابُ أيـنَ نصيرُكُـمْ ... يـا أهـلَ دارِ العلـمِ أيـنَ أميرُكُـمْ

يـا أيُّهـا الفُضـلاءُ أيـن كبيرُكُـمْ ... يـا طالِبِي المَعْروفِ أيـنَ مَصيرُكُـمْ

مَاتَ الْفتى الْمَعروفُ بالمعروفِ

أَسْـقى إلـهُ الْعَالَمِيـنَ بِدِيمـةٍ ... قبـرَ الَّـذي هـوَ ربُّ كلِّ كريمـةٍ

البـاذِلِ الأمْـوالِ عنـدَ عظيمـةٍ ... الْمُشـتري العُلْيـا بأَغلـى قِيمـةٍ

من غيرِ مَا بَخْسٍ ولا تَطْفيفِ

مـا زالَ طالِعـةً علينـا شَمْسُـهُ ... حتَّـى دهَانـا بالرَّزايـا رَمْسُـهُ

مـا سـاءَ شـخصًا يومُنـا وأَمْسُـهُ ... مـا عنَّـفَ الْجُلسـاءَ قـطُّ ونَفْسُـهُ

لم يُخْلِها يومًا منَ التَّعْنيفِ

ثَبَتَـتْ عزيمَتُـهُ إذا مَـا أَقْلَعَـتْ ... عَزَماتُ أَصحابِ العُقولِ فَأَعْجَمَتْ

مُسْـتَصْرِخِينَ ببابِـهِ العَالـي أَتَـتْ ... يـا مُرْشِـدَ الفِتْيـانِ إذْ مـا أَشْـكَلَتْ

طُرُقُ الصَّوابِ ومُنْجِدَ الْمَلْهوفِ

لا غَـرْوَ إنْ ريـبُ المَنـونِ بـه بَغـى ... وعَتـا عُتـوًّا دهـرُه وبـهِ طَغَـى

عَيْشُ العِـدا بعدَ الحبيـبِ وإنْ صَفا ... مَـنْ للضعيـفِ بُعينِـه أَنَّـى أَتَـى

مُسْتَصْرِخًا يا غَوْثَ كُلِّ ضَعيفِ

قَـدْ تـاهَ بالأبـوابِ بعـدَكَ سـائلٌ		واسْـتَبْهمَتْ للطَّالبيـنَ مَسـائلٌ
مَـنْ للنَّجـاحِ إذا رجَـا بـك آمِـلٌ		مَـنْ لليتامـى والأرامـلِ كافِـلٌ

يَرْجونَه في شَتْوةٍ ومَصيفِ

مزَّقْـتَ ثَوْبَـيْ غَفلـةٍ وبَـلادةٍ		ولبسْـتَ حُلَّـةَ عَظْمَـةٍ وسِـيادةٍ
وأفـدتَ نفسَـك والـوَرى بإفـادةٍ		أفنيـتَ نفسَـك في تُقَـى وعبـادةٍ

٣٠ وإفادةٍ للعلمِ أو تَصْنيفِ

مـا زالَ توفيـقُ الإلـهِ مُسـاعدًا		لـكَ إذْ سبقْتَ إلى الْمَعالي جَاهدًا
فعلـوْتَ أَسْنِمَةَ الْمكارمِ سـائِدًا		وسبحْتَ في بحرِ العلومِ مُكابِـدًا

أمواجَهُ والناسُ دُونَ سُيُوفِ

قَـدْ كانَ قلبُـك بـذلَ مـالٍ ما مَنَعْ		عَـن سـائلٍ ويَديـهِ عنـهُ مـا نَـزَعْ
لكـنْ كُنوزَ الخيـرِ طُـرًّا قـدْ زلـعْ		وبذلـتَ سائرَ ما حَوَيْـتَ ولـمْ تَدَعْ

لكَ من تليدٍ في العُلا وطَريفِ

لا شـكَّ أنَّ المـوتَ آتٍ كُلَّ حَـيْ		لا يَنْفَـعُ الإنسـانَ تَعجيـلٌ وَلَـيْ
لكنَّني مُذْ رُحْتَ صِحْتُ فذاكَ عَيْ		يا شـمسُ ما لَكِ تَطْلُعينَ أَلَمْ تَرَيْ

شمسَ الْمَعارفِ غُيِّبَتْ بكُسوفِ

قَدْ صارتِ الأوطانُ لي كَوَبيلةٍ   لجليلـةٍ نـزلـتْ وأيُّ جليلـةٍ
آتيـهِ مُغبِرًا بكـلِّ قبيلـةٍ   لَهْفي على حَبْرٍ بكلِّ فَضيلةٍ

قدْ كان مَرْجُوًّا لكلِّ مُخيفِ

مِنْ كنزِ أعمالٍ وعِلْمٍ مُقْتَنِ   بلْ من ثِمارِ الشَّجْرَتينِ الْمُجْتَنِي
يُجزَى لـه مـن غافرٍ ومُهَيْمِنِ   كانَ الخفيفَ على تَقيٍّ مُؤْمِنِ

لكنْ على الفُجَّارِ غيرِ خَفيفِ

ذا الموتُ كان على البريَّـةِ ذُلَّها   صَبَّتْ وفاتُك ذي المَصائبَ جُلَّها
نادِ البريَّـةَ يـا عميـدُ وقُـلْ لَها   عـمَّ الْمُصابُ به الطَّوائفَ كُلَّها

لمَّا ألَمَّ وخَصَّ كُلَّ حنيفِ

لَقِيَنْـكَ إذْ صُيِّرْتَ مَقبورَ الثَّرى   فئـةٌ مـن اللهِ الـذي قـدْ غفَـرا
وأتـاكَ كـلٌّ مُخبِرًا ومُبَشِّرًا   بُشراكَ يا ابنَ عليِّ العَالي الذُّرا

إذْ بِتَّ ضَيفًا عندَ خيرِ مُضيفِ

قُدِّسْتَ مـن رجـلٍ حليمٍ ساترٍ   وجُنِيْتَ كُرهًا من عزيزٍ زائرٍ
فـإذنْ أتيـتَ إلـى ولـيٍّ قـادرٍ   ولقـدْ نزلـتَ علـى كريمٍ غافرٍ

٥٤ بالنَّازلينَ كما عَلِمْتَ رَؤوفِ

محمد إعزاز علي الأمروهي

معين اللبيب
في جمع قصائد الحبيب

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمدُ للهِ وكَفى، وسلامٌ على عبادِهِ الَّذين اصْطَفى.

الجزءُ الأوَّلُ
دُعاءُ المُضطرِّ

أنشأتُها حينَما أحاطتْ بيَ الآثامُ والذُّنوبُ، وطوَّحتْ بي طوائحُ الآلامِ الكروبِ، وأقْلَقتني الأمراضُ والأوجاعُ، وسلَّمتْني يدُ المهالكِ إلى الضياعِ، وضرَّتنيَ الأدواءُ والأسقامُ، فبِتُّ يُزْعِجُني السَّهرُ والناسُ نيامٌ، أُذكِّرُ بها الآخرةَ، وأَحُثُّ على الأعمالِ الصالحةِ، وفيها طريقةُ الامتثالِ بقولِهِ تعالى شأنُه: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ [النمل: ٦٢]، وهي قصيدةٌ على مِنوالِ القصيدةِ الميمونةِ البُرْدِيَّةِ، وأرجو من فضلِ اللهِ ورحمتِهِ أن يتقبَّلَها كما تقبَّلَ تلكَ القصيدةَ الغراءَ.

[البحر الطويل]

دعَـا وَدَّعـا ريـمَ الظِّبـاءِ وأَوْدِعَـا	١	بُدُورَ الحِمى في الحيِّ رَهنًا مُضَيَّعا
وسَمْرًا وسُمَّارًا ولَحْظًا وصَبوةً		ورَبْعًا خَلاءً دارِسَ الرَّسْمِ أَقْرَما
وهَجْرًا وصَرْمًا واصْطبارًا وسَلوةً		دِنانًا وخَمَّارًا وراحًا مُشَعْشَعا

وقولا لطيفًا سارَ في غَسَقِ الدُّجى   يُمَثِّلُ أَطلالًا مَصيفًا ومَرْبعَا
وحُورًا وعِينًا يُستَلَذُّ عِناقُها   وتَعْرِضُ للتَّقبيلِ خدًّا مُمنَّعَا
نَراكَ تَنكَّبتَ الطريقَ مُيمِّمًا   نَجِيَّ هُمومِ ساهرَ الليلِ أجْمَعَا
يُحاسِبُ منهُ ما مَضى في غَوايةٍ   ومَا فاتَ من أعمالِ بِرٍّ وضَيَّعَا
ويَرعى نُجومَ الليلِ يُحصي ذنوبَهُ   فزادتْ عليها ألفَ ضِعْفٍ تَنوَّعَا
ومَنْ يَسْعَ أو يَركبْ جَناحَيْ نَعامةٍ   لِيُدْرِكَ مَا قدْ فاتَ خابَ وما سَعى
وكيفَ يَلَذُّ النومُ في العينِ بعدَما   أصاتَ الْمُنادي بالرَّحيلِ وأسْمَعَا
وكيفَ وقدْ ولَّى بِرَيْعَانِهِ الصِّبا   ونَدَّدَ إصباحُ المَشيبِ وروَّعَا
وكيفَ وقدْ أَوْهى القُوى وتَضاءَلتْ   وآذنَ إزهابُ الْمَنونِ وزَعْزَعَا
لَعًا لكَ يا مَنْ غاصَ في لُجَجِ الْهَوى   إذا أنتَ لمْ تُصلِحْ لِعُقباكَ مَزرعَا
ولوْ كنتَ ذا دِينٍ وحزمٍ ويَقْظَةٍ   لَبيبًا فلا سُحقًا يُقالُ ولا لَعَا
أَفِقْ واتَّعِظْ بالشيبِ يَجْلو ضياؤُه   ظَلامَ التَّصابي أوْ يُزَحْزِحُ لَعلعَا
ولا تَتْرُكَنَّ النَّفسَ مُرْخى عِنانُها   فَتَرْتَعَ غَيًّا مَرْتعًا ثُمَّ مَرْتعَا
إذا أنتَ أَرْخيتَ العِنانَ وَجَدْتَها   خَليعًا على دَستِ الهَوى مُتَربِّعَا
أَفِقْ واجْتنبْ عن مَوْرِدِ الجهلِ والْهَوى   ورِفقًا عليها أيُّها المرءُ واربَعَا
إذا جاوزَ الإنسانُ خَمسينَ حِجَّةً   فما عُذرُه أنْ لا يَكُفَّ ويُقْلِعَا

أَراهـا تَظُـنُّ الـدارَ دارَ إقامـةٍ ... تَشيدُ بهـا قَصـرًا مَنيعًـا مُرَصَّعًـا
تَشيدُ بنـاءَ الخالديـنَ وإنَّمـا ... بَقـاؤُك فيهـا مـا أقـلَّ وأَوْضَعـا
أَراهـا تظـنُّ المُرْدِيـاتِ كِياسـةً ... وتَحْسِبُها لُبًّـا وَدِينًـا مُشَـرَّعَا
على ذا يَسودُ النـاسَ زَهوًا ورِفعةً ... ويُدعى إذا يُدْعى قَريعًـا سَـمَيْدَعَا
يُقـالُ لـه مـا أَظْـرفَ المـرءَ فِطْنـةً ... وما جَلْدَهُ في الناسِ مَرْأَى ومَسْمَعَا
ومـا فيـه إيمـانٌ كمثقـالِ ذرَّةٍ ... ولا عُـدَّ عنـدَ اللهِ شِبـرًا وإِصْبُعًـا
ومن نكَدِ الدُّنيا على المرءِ أنْ يَرى ... لئيـمٌ كريـمَ القـومِ أفـرعَ أتْلعَـا
ومَـنْ رقَّـعَ الدُّنيـا بتَمْزيـقِ دِينـهِ ... أَبى الدِّيـنُ أن يَبقـى لـه أو تُرقِّعَـا
ومَنْ يعمـلِ الحُسنَى رِياءً وسُمعةً ... يُـراءَ بـه يـومَ القيامـةِ مُسَـمَّعَا
كلابسِ ثَوْبي الزُّورِ ما لَمْ يَكُنْ لهُ ... يقيـنٌ وأمسـى بالهُـدى مُتَشَـبِّعَا
أَراهـا تَقَضَّـتْ في التَّعامي سِنِيُّها ... ولا انْتَهَجَـتْ للرُّشدِ نَهْجًا ومَهيعَا
ولا انتصبـتْ للهِ يومًـا قيامَهـا ... ولا نَبـذتْ ليـلًا فراشًـا ومَضجعـا
ولا ذرفَ العينـانِ للهِ خَشـيةً ... ولا اغْبرَّتِ القَدْمَانِ في اللهِ مُسْرعَا[1]
ولا نـالَ في أرضِ الحِجازِ غُبارُهـا ... عِـذارَكَ مُغْبَـرًّا ولـم تـكُ أَضْرَعَـا

(١) ولا قدماك اغبرتا فيه مسرعًا. (الناظم).

فكم أَنْدُبُ النَّفْسَ التي لا إِخالُها   تُجيبُ نَصيحًا أو تُحاوِلُ مَنْزِعَا
وكم أَتلظَّى جَمرةً من شِقائِها   وكم أَترجَّى أن تُنيبَ وتَرْجِعَا
وكم أتردَّى هُوَّةَ الجهلِ والعَمى   وأَخْبِطُ في تيهِ الضَّلالِ مُضَرَّعَا
وأغمِضُ عَينيْ والقَذى في جُفونِها   وأَشربُ كاساتِ الرَّدى مُتَجَرِّعَا
وكيفَ وقدْ سُدَّتْ عليَّ مَسالِكي   وأَصْبحتُ في وادي الهَوانِ مُصَرَّعَا
هنالكَ لا أَرجو سوى اللهِ مَلْجأً   ولا دَونَ قَرعي بابَه ليَ مَفْزَعَا
إلهي فأنتَ البَرُّ ذُو الطَّولِ غافرٌ   تُجيب نداءَ المُستغيثِ إذا دَعَا
ومَنْ مُؤْنِسُ الجاني مقنِّطُ مُفرِطٍ   وأنتَ عفوٌّ واسعُ الفضلِ مُوسِعَا
وقلتَ لهم (لا تَقْنطُوا) حينَ أَسْرفُوا   ووطَّنْتَهم بالرَّوْحِ رَيًّا ومَشْرعَا
أتاكَ إلهي خائفٌ مُتَضَرِّعٌ   بئيسٌ كسيرُ القلبِ ولهَان مُوجَعَا
ومُعْترفٌ أنِّي خلطتُ بصالحٍ   ذُنوبًا هَوَتْ منها الجبالُ تَصَدُّعَا
أتيتُكَ لا أرجو سواكَ ولا أَرى   لنفسيَ مُنحازًا ولا مُتَفَزَّعَا
أتيتُكَ والغَبْراءُ ضاقَ نطاقُها   عليَّ وشقَّ الهمُّ صَدْرًا وأَضْلُعَا
أتيتُكَ والرَّغَباتُ شَوقًا تَقودُني   ورهبةُ أعمالي تَزيدُ تَسكُّعَا
أتيتُك ذا فقرٍ شديدٍ ومُمْلِقًا   ولطفُك أن أمسي خَصيبًا ومُمْرِعَا
ولطفُك سوَّاني ولطفُك صاغَني   بأحسنِ تقويمٍ سويًّا مُرَعْرَعَا

ولطفُك في صُلْبِ الجُدودِ أحاطَ بي … ولطفُـك ربَّـاني جَنينًـا ومُرْضَعَـا
ولطفُـك أعْطَـاني بهـذْيِ محمَّـدٍ … سـبيلًا نَقيًّـا واضِحًـا ثـمَّ مُنْجِعَـا
سَوَادي وجِسْمي ثمَّ عَظْمي ومُخُّه … وناظـرُ عَينـيْ مـا رآهُ ومـا رَعَـى
ولَحْمي وشَحْمي واللسانُ ومَنْطقي … وأُذْني وسَمْعي ثمَّ عقْلي وما وَعَى
وقَلْبي ولُبِّي ثـمَّ سِرِّي ومُهْجَتي … ونَفسـي ورُوحي كلُّها لكَ خُضَّعَا
ومنكَ صَلاتي ثمَّ منكَ مَناسِكي … ومنكَ دُعائي حينَ أدعو تَضرُّعَا
ومَـا أنَـا إلا منـكَ رَسْـمُ وجـودِهِ … ومنكَ مَمَاتي حينَ أُصْرَعُ مُصْرَعَا
ولـي بعـدَ هـذا وصلـةٌ ووسـيلةٌ … بأكـرمِ خلـقِ اللهِ أتقـى وأوْرَعَـا
نبيُّ الهُدى عمَّ الوَرى بَذْلُ جُودِهِ … شَـفيعًا لأهلِ الأرضِ طُرًّا مُشَـفَّعَا
هو الرحمةُ المُهداةُ للناسِ بعدَما … أظلَّ العَمى والخيرُ عنهُم تَقَشَّعَا
وكانـــوا قلوبًـا ينظُـرُ اللهُ فيهـمُ … بمَقـتٍ وسُـخطٍ تائِهيـنَ تأمُّعَـا
فأرسلَه بالحـقِّ والصـدقِ ناطقًـا … بشـيرًا نذيـرًا داعيًـا ثـم مَصْدعَـا
سِراجًا مُنيرًا يُبصرُ العُمْـيَ نَهجَهُم … ويَفتـحُ لـلآذانِ سَـمْعًا لِتَسْـمعَا
وأفئـدةً غُلفًـا يُزيـلُ غِطاءَهـا … ويَمْلؤُهـا رُشـدًا ونُـورًا لِتَسْـطعَا
وآمَنَهُـم مـن كلِّ خـوفٍ ونِقمـةٍ … يَعُمُّهـمُ أخـذًا وبَطْشًـا ومَوْقِعَـا
هـو العاقبُ الماحي وأوَّل قـارعٍ … لأبـواب خُلـد مُرقِيًـا ومُرفَّعـا

وكان نبيًّـا قائـدَ الرُّسْـلِ خاتَمًـا … وآدمُ بيـنَ المـاءِ والطيـنِ مُودَعًـا
وأوَّلَهـم خَلقًـا ومَجْـدًا وسُـؤدَدًا … وأَطيبَهـم فَرعًـا وأَصْـلًا ومَطْلَعًـا
وأكْمـلَ خَلقًـا ثـمَّ أَزْكـى خَلائقًـا … وأحْسـنَ مـن بـدرٍ إذا مـا تَطَلَّعَـا
وأجْودَ من ريحِ الغداةِ إذا جرتْ … نسيمًا يفوحُ المسكُ منها تَضَوُّعَا
وأثْبـتَ قَلبًـا ثـمَّ أمْضـى عزيمـةً … إذا مـا تـردَّى لأْمَـةً أوْ تَدَرَّعَـا
وأكْثـرَ إقْدامًـا وجالـتْ خُيولُهـم … وشَـتَّتَهُمْ حَمْـيُ الوَطيـسِ وأفْزَعَـا
أغَـرَّ جبينًـا ثـم أحْلـى شَـمائلًا … وأجْملَ وَجْهًـا ثم أبهى وأَبْرَعَـا
أخَفَّهـمُ رُوحًـا وجِسْـمًا فـلا لـهُ … على الأرض ظِلٌّ كان يَمشي تَقَلُّعَا
وأحْسـنَ سَـمْتًا ثـم أفْصحَ مَنْطقًـا … وأطْـوَلَ صَمْتًـا ثـم أبْلـغَ مِصْقَعًـا
وأبْسـطَهم بِشْـرًا ولُطْفًـا ورَحْمـةً … وأوْسـعَ صَـدْرًا ثـم أسْـخى وأَنفَعَـا
وكانـتْ عجـوزٌ إذ تجـيءُ لحاجـةٍ … يقـومُ لهـا حينًـا لِتُقْضَـى فتَرْجِعَـا
وأحْيـى مـن العَـذْراء في كِنِّ بيتِهـا … وأوْفى ذِمامًـا ثـم أقْـوى وأشْـجَعَا
وكـان صَبـورًا لـلأذى مُتَحَمِّـلًا … وعَبْـدًا شـكورًا دائِبًـا مُتَضَرِّعَـا
وَسـيمًا جَميـلًا باسِـطًا مُتَهَلِّـلًا … مَهيبًـا جَليـلًا ثـم أخْشـى وأخْشَـعَا
مُنيبًـا وأوَّاهًـا نَجيًّـا مُراقِبًـا … بِحُزْنٍ طويـلٍ دائـمَ الفكـرِ أخْضَعَـا
حبيـبَ إلـهِ العالَميـنَ خليلَـهُ … وعَبْـدًا صَفيًّـا اصْطفـاهُ وأرْفَعَـا

وأمّتُه غُرٌّ سعَى نورُ دِينِهم … لهم بينَ أيديهم جميلًا وألْمَعَا

وأمّتُهُ غُرٌّ بتَحجيلِها سَمَتْ … إذا وَرَدَتْ تَمْتازُ وَسْمًا مُبَدَّعَا

وكوثرُه مِثلُ النجومِ كُؤوسُهُ … وأزهرُ لونًا ثم ألطفُ مَصنَعَا

وأَزْيَدُ من لَبَنٍ بياضًا شرابُها … ومن عسلٍ أحلى يكونُ وأمْرَعَا

إذا سكتُوا في الجمعِ كان خطيبَهم … وإنْ وفدوا كان النقيبَ المُقَنَّعَا

وكان يَرى من خلفِهِ مثلَ ما يَرى … تُجاهَ يَدَيْهِ غيرَ خافٍ وأَسْطَعَا

وكان له عينٌ تنامُ وقلبُه … على حالِهِ يَقْظانُ أوْعى وأَسْمَعَا

سَرى ليلةَ الإسراءِ فوقَ بُراقِهِ … فجاوزَ حدَّ الحدِّ قُربًا ومَسْمَعَا

عَلا فاعْتلى فوقَ السماواتِ قَدْرُه … يُرى دونَه الرُّوحُ الأمينُ تَخَشُّعَا

دَنا فتدلّى قابَ قَوْسينِ فأدنى … فسُبحانَ ربّي ما أجلَّ وأرْفَعَا

هوَ السيِّدُ المحمودُ يَحْمَدُه الوَرى … عليهِ لِواءُ الحمدِ يَهْتزُّ أَرْفَعَا

إذا اشتدَّ هَوْلٌ والنَّبيُّونَ كُلُّهم … بنفسِيَ نَفْسي يَلفظُون مُرَجَّعَا

تقومُ فتَأْتي أمّةٌ بعدَ أمّةٍ … إليهِ وتَرْجو أن يُغيثَ ويَشْفَعَا

فما زالَ يدعُو ربَّه وهْوَ ساجِدٌ … بأدعيةٍ حتّى يُقالَ فيَرْفَعَا

وذاكَ أوانٌ يشهدُ الجمعُ أنّهُ … هوَ الأوَّلُ الدَّاعي وخاتَمُهُمْ مَعَا

إلهي سَقامُ الجسمِ أوْهَنَ بُنْيَتي … وصَيَّرني مُلْقًى ضَعيفًا مُضَعْضَعَا

وأَوْهى عِظامي والتَحى قِشْرَ جِلْدَتي ... إذا نَهَضَتْ رِجلايَ أَمْشي مُدَعْدِعَا
وَصِرْتُ كفرخٍ لا يُطيق نُهوضَـهُ ... ولا يَتقَـوَّى أَنْ يَطيـرَ ويُسْـرِعَا
تُعـاوِدُني الأسـقامُ بَـدْءًا وعَـوْدةً ... وتَعْرُكُني الأوجاعُ عَـرْكًا مُفَجِّعَـا
أَمَرْتَهُـمُ أن يَسـألوا منـك صِحَّـةً ... وعافيـةً تُزجـي السَّـقامَ مُوَدَّعَـا
ولا يَسْـألوا منـك البـلاءَ ولا العَنَـا ... فيُلْفَـوا هَلوعًـا حيـنَ ذاكَ وجَزَّعَـا
وإنِّي سقيمٌ فاعْفُ عنِّي وعافِني ... وَهَبْ لي شِفاءً ليسَ يُبْقي تَوَجُّعَا
وهبْ لي شفاءً عاجلًا غيرَ آجِلٍ ... أكـونُ بـه للخيـرِ أقْـوى وأطْوَعَـا
سريعًا إلى الخيرات أدعوكَ رَغبةً ... مَنيعًـا عـن الفحشـاءِ أدعُـو تَرَوُّعَـا
وهـبْ لـي قَلْبًـا قانِتًـا مُتَذَلِّـلًا ... حَزينًـا كَئيبًـا خاشِـعًا مُتَخَشِّـعَا
إلهي وأدْخِلْ في حَشايَ وأَضْلُعي ... بشاشـةَ إيمـانٍ فَتَحْشـى تَوَرُّعَـا
إلهي خلقتَ الخلقَ للنَّارِ عُصبةٌ ... وأُخرى لروضِ الخُلْدِ قِسْمًا مُوَزَّعَا
ولستَ تُبالي مَنْ جَعلْتَ له اللَّظى ... ومن شئْتَ خَلَّدْتَ النَّعيمَ مُمَتَّعَا
ولا عِلْمَ لي أيُّ الفَريقيـنِ عُصْبتي ... سَـعيدًا أُنـادَى أم شَـقِيًّا مُقَرَّعَـا
إلهي فَأَدْخِلْني بفضلِكَ واحْبُني ... نَعيمًـا مُقيمًـا خالِـدًا ومُوَسَّـعَا
ولسـتُ بأعمالـي أُريـدُ كَرامَتـي ... ولا لـيَ أن أرجــو وأن أتَوَقَّعَـا
ولكنَّـك التـوَّابُ والعبـدُ مُذْنِـبٌ ... وأنـتَ كريـمٌ للخَـلاصِ مُوَقَّعَـا

إلهي وآنِسْ وَحْشتي وارْثِ غُرْبَتي … إذا بِتُّ في لَحْدي أُجاوِرُ بَلْقعَا

وأُخلَى بأعمالي وَحيدًا بحُفْرَتي … وليسَ أنيسٌ غيرَ لُطفِكَ مُمْتِعَا

وكُنْ لي وِقاءً عن جحيمٍ ونارِها … إذا صُبَّتِ الأهوالُ والأمرُ أفْظَعَا

إلهي رَجائي فوقَ ذَنْبي وإنَّني … لأعْلَمُ أنَّ العفوَ يُنْجي المُرَوَّعَا

وعَفْوُكَ مَحَّاءٌ وعَفْوكَ شاملٌ … وعفوكَ حِصْنٌ كانَ أَرْسى وأَمْنَعَا

وعَفوُكَ شمسٌ لا يقومُ لها الدُّجى ١٢٠ وذَنْبي ظَلامٌ يَنْجلي مُتَقَشَّعَا

وتلكَ مُنى قَلْبي وتِي بُغْيَتي الَّتي … إذا نِلْتُها حَازَتْ ليَ الفوزَ أَجْمعَا

إلهي بجاهِ المُصْطَفى فَاقْضِ حَاجَتي ١٢٢ بفضلكَ يا رحمنُ يا سامعَ الدُّعَا

لاميَةُ المُعجِزاتِ

[بحر الرمل]

تمهيدٌ في خطابِ النفسِ وتنبيهِها على غفلاتِها
وتورُّطِها في وَرَطاتِ الغوايةِ وغمراتِها وإيقاظِها من عماياتِها

أيُّها المُختالُ في ثوبِ الأمَلْ ... والمُباهي بطِرازٍ في الحُلَلْ ١
والمُجاري في مَيادينِ الخَلا ... قد دَنتْ منكَ مَراراتُ الأجَلْ
أنتَ في تيهِ العَمى تَبغي المُنى ... والمَنايا كشَّرتْ نابَ الوَجَلْ
أنتَ في لهوٍ وزهوٍ تَجتني ... من ثمارٍ مُوبِقاتٍ مَنْ أكَلْ
كم تُرجِّي في حياةٍ ما صَفَتْ ... والقَذى في جَفْنِها مَدَّ الطِّوَلْ
كم تميلُ أو تميدُ مُترَفًا ... في رِداءٍ من شبابٍ مُقتبَلْ
كم تبيتُ في مُناغاةِ الدُّمى ... والمُنادي بالصَّباحِ قد نَزَلْ
كم تحِنُّ أو تجِنُّ بالصِّبا ... واستنارَ الرأسُ شَيبًا واشتعلْ
لا تَلُمْني أو فَلُمْني إنَّما ... قلتُ ما قلتُ وبي أمرٌ جَلَلْ

كيف ينجُو من نشا تِرْبَ الهَوى   والْمَعاصـي شـبَّ فيهـا واكْتَهَـلْ
لـم يُفِـقْ عـن سُـكْرِهِ يومًـا ولـم   يحفظِ الأعضاءَ عن وَسْمِ الزَّلَلْ
قلبُـه كالليـلِ داجٍ إذْ سَجـا   سـارَ نـورُ العُـرْفِ منهُ وارْتَحَـلْ
واللسـانُ في اغتيـابٍ ترتعي   ولحـومُ النـاسِ حَلْـوى كالْعَسَـلْ

الالتجاء إلى باب سيد الكونين شفيع المذنبين ملجأ المكروبين سيدنا ومولانا محمد ﷺ والتوسل به

مَـا لَـهُ مـن مَلجـأٍ أو مَوْئِـلٍ   غيـر بـابِ السيِّدِ المَولى الأجَلّ
سـيِّدِ السَّـاداتِ فَخْـرِ الأنبيَـا   مُكْمِـلِ التَّوحيـدِ مَحَّـاءِ المِلَـلْ
لُـذْ بيـابِ المُصطفى خيرِ الوَرى   مَلجأِ المَكروبِ مِفتاحِ العُضَـلْ
واقْـرَعِ البـابَ مُلِحًّـا مُدْمِنًـا   مَـنْ أدامَ القَـرْعَ لا بُـدَّ يَصِـلْ
لُـذْ بإعطـافِ المُرَجَّـى واعتَصِـمْ   تُحْـرِزِ النُّعْمـى كمـا لاذَ الجَمَـلْ

ذكر بعض شمائله ومناقبه وأوصافه وكمالاته ﷺ

سـيِّدُ الكَوْنَيْـنِ مِصبـاحُ الدُّجـى   أوَّلُ المَخْلـوقِ في علـمِ الأزَلْ
منـه في الكَونَيْـنِ نـورٌ سـاطعٌ   واقْتبـاسٌ للتَّـوالـي والأُوَلْ

وجهُهُ كالبدرِ أو شمسِ الضُّحى ... صـدرُه مِشكاةُ أنـوارِ الرُّسُـلْ
مَنهـلٌ عَـذْبٌ فُـراتٌ سـائِغٌ ... جُـودُه المُـرْوِي بِنَهْـلٍ وعَلَـلْ
نَشْـرُهُ مِسـكٌ ذَكـيٌّ فائِـحٌ ... تَعْطُـرُ الأكـوانُ منـه إذْ رَفَـلْ
مـا مَشى إلا ومن طِيبِ الشَّـذى ... يَعـرِفُ المُشـتاقُ أيـنَ المُرْتَحَـلْ
أطيبُ الطيبِ لهـم في عرْسِـهم ... عَـرَقٌ من جِسْـمِه الأزْكـى نَسَـلْ
كفُّـهُ شَـثْنٌ حريـرٌ ناعـمٌ ... مَسُّـها يَكْفـي مُعانـاةَ العِلَـلْ
كلَّمـا مـسَّ لشـاةٍ ضَرْعَهـا ... عـادَ فيـهِ الـدَّرُّ منه واحْتَفَـلْ
رِيقُـهُ فيـه نَمـاءٌ والشِّـفا ... في الأواني حيـنَ مَـجَّ أو تَفَـلْ
أو دعَـا للغيـثِ لمَّـا أُقْحِطُـوا ... أطْبَقَـتْ بالغيـم وانْهَـلَّ الهَطِـلْ
فـارَ مـن أيْديـهِ مـاءٌ كلَّمـا ... غـاضَ مـاءُ البئرِ وامْتصَّ الوَشَـلْ
أو بَـدا عنـدَ ابتسـامٍ سِـنُّهُ ... أبـرقَ الظَّلْمـاءُ وامْتـازَ السُّبُـلْ
يَنبـعُ المـاءُ يفـورُ زاخِـرًا ... مـن يَدَيْـهِ حينَمـا المـاءُ يَقِـلْ
تَسْـتَقِي الجيـشُ المِئُـونَ كلُّهـا ... مَـنْ تَوضَّـأ منهـمُ أوِ اغْتَسَـلْ
رحمـةٌ للخلـقِ مُهـداةٌ لهـم ... تشْـمَلُ الكلَّ على قَـدْرِ العَمَـلْ

حال الدُّنيا قبل مبعثه ﷺ وما في أفرادها من عموم الضَّلال وشمول المقت والسُّخط

كـــانَ في الدُّنيـا ظـلامٌ مُسْبلٌ ... ليـسَ للأنـوارِ فيهـا مـن شـعَلْ

يعبُـدُ الأقـوامُ أصنامًـا لهم ... بسـجودٍ وطـوافٍ ورَمَـلْ

كـلُّ قـومٍ عندَهـم طاغوتُهم ... يُمْرِغـون عنـدَهُ وَجْهًـا أذَلّ

منهـمُ مَـنْ يعبُـدُ العُـزَّى عَمًـى ... منهـمُ مَـنْ يَسـتغيثُ بِهُبَـلْ

وإسـافٌ ربُّهـم أو أخْتُهـا ... يُعْبَدانِ في الحمَـى والـرُّزْءُ جَـلّ

ثـمَّ بالتثليـثِ ضلَّـتْ عُصبَـةٌ ... يَجعلـون الابـنَ للهِ الأجَـلّ

خَفَّـتِ الأحـلامُ زَيْغًـا شَبَّهُوا ... بإلـهِ الخلـقِ مَخلوقًـا ضَـؤُلْ

واسْـتطالتْ عُصبـةٌ في غيِّهـا ... تُطفئُ الأنـوارَ سَـعيًا لا كَلَـلْ

حرَّفُـوا التـوراةَ عـن تَنْزيلِها ... غيَّـروا منهـا حُروفًـا وجُمَـلْ

بدَّلـوا الأحكامَ وانْصَبُّوا عمًـى ... للكفـاحِ بالسـيوفِ والأَسَـلْ

عانَـدوا الحـقَّ وكانـوا كلُّهم ... يَعْرفـون أنَّـه حَـقٌّ نَـزَلْ

ثَـمَّ قـومٌ بالوَقـود تَنتمـي ... سـعَّروا نـارًا لهيبًـا تَشْـتَعِلْ

مَـا لِعُـرْبٍ مُسْـتَقَرٌّ في الهُـدى ... ولِعُجـمٍ مُـستراحٌ في الظُّلَـلْ

عَمَّهُمْ مَقتٌ وسُخطٌ ما خَلا   مَنْ يُقيمُ في مَغاراتِ القُلَلْ

ذكر ما حصل للدنيا وأفراد العالم
من أنوار الهداية بعد بعثته ﷺ وعمومها

فاستنارتْ إذْ بدا أنوارُه   وامتلَى بالضوءِ سَهْلٌ وجَبَلْ

قدْ حباهُ اللهُ مُلْكًا واسِعًا   فانْمَحى الأديانُ وانساخَتْ دُوَلْ

أخرجَ الأوثانَ عن بيتِ الهُدى   وانمَحتْ ظُلْماتُ عُزَّى وهُبَلْ

كُسِّرَ الصُّلْبانَ في بِيْعاتِها   وانطفتْ نِيرانُ كِسْرى وأفَلْ

ذكر ما ظهر منه ﷺ في تبليغ الرسالة من المعجزات والآيات وأن معجزاته ﷺ زادت على معجزات جميع الأنبياء -عليهم السلام- عددا ورتبة. وأنه أوتي منها ما لم يؤت أحد

أظهرَ الآياتِ في نَشْرِ الهُدى   فاستقامَ المَيْلُ وانْسَدَّ الخَلَلْ

كلُّ إعجازٍ بدا من قبلِهِ   لِنَبيٍّ أو رسولٍ ذي نَبَلْ

فلَهُ في كلِّ نوعٍ مثلُهُ   بلْ وأعْلى منه أبْهى وأجَلّ

ثمَّ فاقَ كلَّها ما قدْ أتى   ليسَ يُحصيها كتابٌ أو سِجِلّ

ثُمَّ ما لم يُؤْتَــهُ مَــنْ قبلَـهُ   لا ولا فيـــهِ لــريبٍ مُدَّخَـلْ

تفصيلُ ما أُودعتْ هذه القصيدةُ من المُعجزات

القسمُ الأوّلُ: مُعجزاته الخاصّةُ به التي لم يُؤتَ أحدٌ من الأنبياءِ مثلها

هَـاكَ قُرْآنـاً مُبِيـنَـــا فاستمعْ   لم يَزَلْ إعجازُه مُنـــذُ نَزَلْ [١] معجزة

فيـهِ تَعجيـزٌ لهـم عـن مثلِـــهِ   مَــنْ أطـاقَ مثلَــه قَـولاً يَقُـلْ

منـه إعجـازُ الـكلامِ قــدْ بَـدَا   ما بـه خُـصَّ سِوى خَتمِ الرُّسُلْ

كَثـرةُ الـرَّدِّ بـــه لــم يُبْلِـهِ   وبِتكرارِ الصَّلاةِ لــم يُمَـلّ

تَعتـري منـهُ القلـوبَ رَوعـةٌ   والجلـودُ تَقْشَـعِرُّ بالْوَجَـلْ

مـا انقَضَـتْ مـن ذُخـرِهِ ما يَنطَوي   وانقضـى الأعمارُ في رفْـعِ الكَلَـلْ

أَذْعنـوا بالعجـزِ عِلمّــا أنّــه   مـن بديـعِ النَّظْـم في أعلـى مَحَلّ

فـازَ مَــنْ يَتلُـوه لـم يَفْتُـرْ بـه   وتَـــراهُ حيـنَ حَـــلَّ مُرْتَحِـلْ

القسمُ الثّاني: مُعجزاته ﷺ في مَلكوتِ السّماواتِ

من انشقاقِ القمرِ وَردِّ الشّمسِ ووقوفِها

وعلَـى إيمانِـــه انشَـــقَّ القَمَـرْ   شاهَدوا ما بَيْنَ فِرْقَيْهِ الجَبَلْ [٢]

[٣] رُدَّتِ الشمسُ وكانتْ قدْ هَوَتْ ... فأجابتْ إذ دَعاها تَقْتَبِلْ

[٤] مُدَّ في طولِ النَّهارِ إذْ رَستْ ... تَبتغيْ الإذنَ لها شمسُ الطَّفَلْ

القسمُ الثالثُ: مُعجزاتُه ﷺ في الجمادات

[٥] سَبَّحَ اللهَ بأيْدِيهِ الحَصَى ... فَوَعاهُ مَنْ هُناكَ وعَقَلْ

[٦] سَلَّمَتْ أحجارُ وادٍ إذْ رَأَتْ ... يا نبيَّ اللهِ قالتْ تَنْتَهِلْ

[٧] وكَذا يَعْنو لأمرٍ وجهُها ... بسجودٍ أو هبوطٍ من قُلَلْ

[٨] والطعامُ حينَ يُؤتَى عندَه ... سَبَّحَ اللهَ فما عنه غَفَلْ

[٩] وأبو الدَّرداءِ لَمَّا أنْ هَوَتْ ... قِدْرُه دَارتْ تُهِلُّ لا تَكِلّ

[١٠] كانَ في تُرسٍ لكبشٍ صورةٌ ... فانمحتْ من غيرِ صُنعٍ وعَمَلْ

[١١] تَبتغي المَرضاةَ أشجارُ الفَلا ... فَتُحَيِّي كسلامِ المُبْتَهِلْ

[١٢] ثمَّ تنقادُ لِمَا تُومِي به ... من مسيرِ الأرضِ تعدو كالذُّلُلْ

[١٣] ثمَّ تهوي سُجَّدًا حينَ تَرى ... ليس يَثنيها كَلالٌ أو فَشَلْ

[١٤] ثمَّ جاءتْ إذْ دعاها طالبٌ ... شهِدتْ بالحقِّ تُعلي وتُهِلّ

القسمُ الرابعُ: مُعجزاتُه ﷺ في الحيواناتِ

تُسرِعُ البُدْنُ تُحِبُّ كلُّها ... أنْ يُضَحَّى أوّلًا أو يُمْتَقَلْ [١٥]
وشَكَوْا فَحْلًا لهم في حائطٍ ... هاجَ واستعصى عليهم وانتَحَلْ [١٦]
فأتاهُ فاتِحًا من بابِهِ ... داخِلًا فيه نَشيطًا لا وَجَلْ
إذْ رآهُ الفحلُ خرَّ وانهوى ... بينَ أيديهِ سُجودًا وابْتَهَلْ
والبعيرُ إذْ أرادُوا نحرَه ... جاءَ والتجا بعينٍ تَنْهَمِلْ [١٧]
ثمَّ في أُذْنَيْهِ ناجى مُفصِحًا ... ما به من أزمةِ البَلْوى نَزَلْ
فاشتراهُ ثمَّ خلّاه سُدًى ... لا يُعنّى فهوَ من حُرِّ الْجَمَلْ
طارَ بالخُفِّ غُرابٌ فرَمَى ... أسْوَدَ الحيّاتِ منه إذْ دَخَلْ [١٨]
وافِدُ الذِّئبِ أتى كي يَمْتَري ... من قطيعِ الشَّاءِ سخْلًا أو حَمَلْ [١٩]
وانثنى إذْ قالَ خلِّهِمْ إذَنْ ... في هناءٍ وسُرورٍ وعَسَلْ

القسمُ الخامسُ: مُعجزاتُه ﷺ في تكلُّمِ الحيواناتِ وشهادتِها بالرِّسالةِ والتَّبليغِ

واستغاثتْ ظَبيةٌ قدْ شدَّها ... حابِلٌ رامَ اقتناصًا فاحْتَبَلْ [٢٠]

يـا نبـيَّ اللهِ أَطلِقْني أَعُـذْ　　بعدَ إرْضاعي لخِشْفٍ مُنْخَزِلْ
حلَّها تَعدو وتَتْلو أنَّـه　　خاتَمُ الرُّسْلِ وحَلَّالُ العُضَلْ
ثمَّ عادَتْ تَقتفِي آثارَها　　للإسارِ ما أخَلَّتْ بالأجَلْ
ثمَّ خلَّاها تصيحُ في الفَلا　　تُعلنُ التوحيدَ جَهْرًا لا تَمَلّ
[٢١] وأبانَ الحقَّ ضَبٌّ إذْ بِهِ　　عُلِّقَ الإيمانُ من ذاكَ الرَّجُلْ
[٢٢] وشَكا الرَّاعي أُوَيْسٌ نَزْعَهُ　　بكلامٍ مُفصحٍ لا كالحكَلْ
ثمَّ قالَ إذْ رأى إعجابَه　　أعجبُ من ذاك مَنْ يَهْدي السُّبُلْ

القسمُ السادسُ: مُعجزاته ﷺ في إحياءِ الموتى

[٢٣] والِدانِ أَخبرا إذْ أَسْلَمَا　　أنَّ بنتًا غيَّبوها في الجَرَلْ
فأَجابَتْ إذْ دَعاها حيَّةً　　وهْيَ تعدُو لا كإسْراعِ الوُعِلْ
وارْتَضَتْ رُوحَ الإلهِ وانْثنَتْ　　وأقامَتْهم على وَجْدِ المثَلْ
[٢٤] ماتَ ابنٌ لعجوزٍ هاجَرَتْ　　وأَضَرَّتْ ثمَّ فاجاها الهَبَلْ
أخبروها ثمَّ سجَّوْا وَجْهَهُ　　فدعتْ للهِ تَشكو ما نَزَلْ
واستَوى فيهم سَويًّا ناطِقًا　　وأكَلَ القومُ طَعامًا وأبَلْ

حـنَّ جِـذْعُ النَّخـلِ إذ حـلَّ بــه   من مُصابِ الْهَجْرِ حُزْنٌ وخَبَلْ [٢٥]
ضَمَّـهُ بالصَّـدرِ فاسْتَسْلى بِـهِ   كصبـيٍّ بلَبـانٍ يُشْتَغَلْ
وأسـرَّ بكـلامٍ فارْتَضـى   كونَـهُ في الخُلْـدِ غَرْسًا وامْتَثَـلْ

القسمُ السابعُ: مُعجزاتُه ﷺ في عدمِ إحراقِ النارِ

كـمْ أَتـى مِـنْ أنَّ نـارًا أُجِّجَـتْ   لصحابـيٍّ فتُصْلِـي أو تَمُـلّ
لـم تُؤثِّـرْ بـلْ وصـارتْ روضـةً   ذاتَ بَـرْدٍ وسلامٍ وأكُـلْ
فذُؤَيْـبٌ حيـنَ أَلقَـوْا في اللَّظـى   كالخليلِ صارَ في بَـرْدٍ وظِلّ [٢٦]
وابـنَ خَـوْلانَ رَمَـوْا في جَمْرِهـا   فاستعاذَ الجَمْرُ منـهُ وانْفَتَلْ [٢٧]
واحْتمـى عمَّـارُ منهـا سـالِمًا   لم يَضُرَّ اللَّفحُ منها والشُّعَلْ [٢٨]
وتَميـمٌ ردَّهـا في غارِهـا   إذْ بدَتْ تَرْمي ضِرامًا كالْجَبَلْ [٢٩]
كـانَ مِنديـلٌ إذا يصْلـى بهـا   صارَ مُبيَضًّا كثوبٍ قدْ غُسِلْ [٣٠]

القسمُ الثامنُ: مُعجزاتُه ﷺ في إضاءةِ السَّوطِ والعَصا والأصابعِ واستنارةِ الوجهِ وغيرِها

وأَضـا سـوطٌ عَصـا وأُصْبَـعٌ   مثـلَ مِصباحٍ لِتَمتـازَ السُّبلْ

[٣١] فأُسَيْدٌ وابنُ بِشرٍ إذ رَأَوا ... أنْ يَسيروا في ظلامٍ مُنسَدِلْ

صارَ مِصباحًا عَصا لواحدٍ ... يُبصرانِ النَّهجَ ماءً وَوَحَلْ

ثمَّ لَمَّا أنْ تقضَّى جمعُهم ... صارَ مِصباحَيْنِ منهُ كالْبَدَلْ

[٣٢] وقتادةُ أضا عُرجونُهُ ... فمَضى حتَّى إلى المَثْوى وَصَلْ

[٣٣] وطُفَيْلٌ إذ سَرى في ظُلمةٍ ... صارَ ذا نورٍ بِسوطٍ مُشتَعِلْ

[٣٤] ومضَى السِّبطانِ لَمَّا أبْرَقَتْ ... بَرقَةٌ للبيتِ والليلُ غَطَلْ

[٣٥] أنملاتُ أَسْلَمِيٍّ أَشْرَقَتْ ... فأناخَ القومُ في الضوءِ الإبِلْ

[٣٦] وقتادةُ أضاءَ وجْهُهُ ... تَنْظُرُ الأشباحَ فيها والمُثُلْ

القسمُ التاسعُ: مُعجزاتُه ﷺ في حفظِه ﷺ عن كيدِ الكُفّارِ وإيذائِهم قبلَ الهجرةِ

[٣٧] وانْتَدَوْا للمكرِ فارْتَأَتْ لَهُ ... ثُلَّةٌ من كلِّ مِقْدامٍ بَطَلْ

وأَتَوْا ليلًا لِيَغتالوا بِهِ ... في ظلامٍ ليسَ يُدْرَى مَنْ قَتَلْ

فمضَى من بينِهم لم يَشْعروا ... وحثَا التُّرْبَ عليهم إذْ رَحَلْ

فاتَهُم ما أمَّلوا وأَصْبَحوا ... يَمْسحون التُّرْبَ عن وجهِ خَجَلْ

[٣٨] وأبو جهلٍ أرادَ وطْأَهُ ... إذْ رآهُ في سُجودٍ مُبْتَهِلْ

فرأى نـارًا وهَـوْلًا دُونَـه   ومضَى نكْصًا ووافَاهُ الوَجَلْ
بِنتُ حَرْبٍ ذاتَ يوم أَقْبَلَتْ   بلسانٍ في بَذاءٍ تَهْتَمِلْ [٣٩]
وأتَتْ بالقهْرِ تَرميهِ بـهِ   تَشْتَفِي غَيْظًا لِمَا فيها نَزَلْ
كلَّمَتْ صِدِّيقَه وأَصْبَحَتْ   لا تَراهُ من حِجابٍ قد سدَلْ
ورآهُ النَّضْرُ يومًا خاليًا   إذْ أتى الغائطَ في شِعْبِ الْجَبَلْ [٤٠]
فدَنا منهُ لِيرْدي غِيْلَةً   ثمَّ عادَ وهو مَرعوبٌ وَهِلْ
قد رأى من فوقِ رأسٍ أَسْوَدًا   فاغرًا فاهُ لِيَغْتالَ الرَّجُلْ
والوليدُ كانَ في أمثالِهِ   يسخر منهُ ويُؤذي بالْخَطَلْ [٤١]
فَكَفى الْمُسْتَهْزِئِينَ آيةٌ   دَمَّرَتْهُم بِنَكالٍ لم يَزَلْ
وبنو الْمخزومِ يومًا أجْمَعُوا   أن يُوافُوهُ لقَتْلٍ إذْ شَغَلْ [٤٢]
أُغْشِيَتْ أَبْصارُهم لم يُبْصِروا   يَسْمعون خلْفَهُمْ صَوْتًا زَجِلْ

القسمُ العاشرُ: مُعجزاتُه ﷺ في طريقِ الهِجْرةِ في الحِفظِ من كيدِ الكفارِ ومكرِهم

أُغمِيَتْ أبصارُهم لَمَّا أَتَوْا   غارَ ثَورٍ في شَقاءٍ ودَغَلْ [٤٣]
ورَأَوْا زَوْجَ الحَمامِ قائِمًا   في فَمِ الغارِ بُعَيْدَ أنْ دَخَلْ

وَرَأَوا للعَنكبُـــوتِ نَسْجَـــهُ   فاسْتكانُـــوا بهَـــوانٍ وفَشَـلْ

لـو رأَوا مـا تحتَ أقدامٍ رَأَوا   أكـرمَ الخلـقِ نزيـلًا مـا رَحَـلْ

والَّـــذي ســـارَ لفَتْـكٍ غيلَـةً   أو إِســـارٍ باكْتيـــادٍ وحِيَـــلْ

[٤٤] إذْ رأى خَسْفَ الجَوَاد ساقِطًا   منـهُ فـــوقَ الأرضِ دانَ وانْفَتَـلْ

راجِعًـا مـن حيـثُ جـاءَ قائِـلًا   قـدْ كفاهُـمْ مـــا هُنـاكَ وكَفَـلْ

القسمُ الحادي عشر: مُعجزاتُه ﷺ في الحفظِ عن كيدِ الكفار بعدَ الهجرةِ

[٤٥] أَرْبَـــد أَوْمَى لقَتْـــلِ عامرٌ   غيْلَـــةً إذْ بالكـــلامِ يَشْـتَغِلْ

فحَمَـــى اللهُ وحِبـــلَ عامـــرٌ   ضَلَّ مَسْعى ذلـكَ النَّـذْلِ الفَسِـلْ

[٤٦] ودعَـا اللهَ لِيكفـي شـرَّهُ   مـاتَ بالطَّاعـونِ عامـرُ العُتُـلّ

[٤٧] ثـمَّ صَعْـقٌ قـدْ أَبـادَ أَرْبَـدًا   أَمَّـلا خَطبًـا جَسيمًا لـم يَنَـلْ

[٤٨] ولبيـدٌ كـادَ بالسِّحْرِ يَرَى   أن يُصيبَـــهُ جُنونٌ أوْ خَبَـــلْ

لـم يَنَـلْ مـــا رامَ إلا أنَّـــهُ   اعْتَـــراهُ منـــهُ داءٌ وكَسَـــلْ

فأتَـــاهُ مَلَكَـــانِ ليلَـــةً   يَكشِـفانِ مـا عَـرا ومَـنْ عَمِـلْ

فأتَـــى عمَّـــارُ ذُروانَ الَّتـي   ماؤُهـا مـن خُبْـثٍ ما فيهـا رَهَـلْ

أَخْبَرَتْه الشاةُ نُطقًا أنَّه　　سَمَّهُ قومٌ وقدْ كانَ أكَلْ [٤٩]

لم يُؤَثِّرْ فيه سُمٌّ ناقِعٌ　　خابَ مَنْ شاءَ أذاهُ وخُذِلْ

قامَ صَلْتًا مَنْ أتاهُ فاتِكًا　　وهُوَ مُسْتَلْقٍ بظلٍّ مُنْتَظِلْ [٥٠]

قالَ مَنْ يَحميكَ من بَطْشي إذَنْ　　قالَ اللهُ عليهِ أتَّكِلْ

فاعْتَرَتْهُ رِعْدَةٌ مالَتْ به　　ورَمى السيفَ وولّى مُشْمَعِلّ

القسم الثاني عشر: معجزاته ﷺ
في رُكانة الذي لم يظهر أحد عليه في المصارعة

ورُكانَةُ أتى حَرِبًا لهُ　　ما لِمَرْءٍ في صِراعِهِ قِبَلْ [٥١]

قامَ يَرميهِ ثلاثًا وبَدَتْ　　حُجَّةُ اللهِ على ذاكَ البَطَلْ

وأراهُ آيةً لَمّا دعا　　سَمُرَةً ذاتَ فُروعٍ وعَبَلْ [٥٢]

سارَ منها النِّصفُ يَعْدو طائِعًا　　ثُمَّ إلْتامَ كَأَنْ لم يَنْفَصِلْ

القسم الثالث عشر: معجزاته ﷺ في من كان يؤذيه

وامْتَلى رُعْبًا أبو جَهْلٍ بهِ　　وقَضى مُسْتَعْجِلًا دَيْنَ الإبِلْ [٥٣]

إذْ رأى فَحْلًا يَصولُ كاشِرًا　　آخِذًا بالرأسِ لو شَيْئًا مَطَلْ

[٥٤] عُتْبَـــةٌ آذاهُ شَـتْمًا فَغَـــدا   عُرْضَـةً للكلـبِ مـا أَغْنى الْخَـوَلْ

[٥٥] وبَشيرٌ ذلكَ الخِـــبُّ الَّذي   لَـجَّ فِي الشَّــتْمِ وزادَ فِي الدَّغَــلْ

مـــاتَ إذْ خـــرَّتْ عليـــهِ دَارُهُ   لـم يَحُطْـه طائِـفٌ لَمَّـا انْتَقَـلْ

القسمُ الرابعَ عشرَ: معجزاتُه ﷺ في إبراءِ المرضى وذوي العاهاتِ

وذَوُو العاهـاتِ أَبْــرا جَمْعَهُـم   إذْ دَعـا أَوْ مَـسَّ عُضْـوًا قـدْ بَطَـلْ

[٥٦] أُرْمِدَتْ عَيْـنُ عليٍّ فانْثَنَتْ   لـم يُصْبهـا قـــطُّ داءٌ أو سَبَـلْ

[٥٧] ودعَـا أن لا يَنالَـــه الأذى   مـن شـتاءٍ أو مَصيـفٍ مُشْـتَعِلْ

فلِباسُ الصيـفِ يَرضَـى شَـاتِيًا   والجِبابَ حيـنَ قَيْـظٍ يَأْتَـكِلْ

[٥٨] صـارَ عيـنٌ لقَتَـــادةَ إذنْ   أَكْمَـلَ الْعَيْنَيْــنِ حُسْـنًا وكَحَـلْ

[٥٩] والْيَمَاني يــــومَ مِيـلادٍ أَتَى   شـاهِدًا بالحـقِّ نُطقًـا مُنْفَصِـلْ

ثـمَّ لـم يَنْطِـقْ بحـرفٍ واحـدٍ   بعـدَهُ حتَّـى تربَّـــى وشَبَـــلْ

[٦٠] أَخْرَسٌ شبَّ على الخَرْسِ أتَى   فجَـرى منـــه لسـانٌ وارْتَجَـلْ

[٦١] وزُنَيـرَةُ أَضَـرَّتْ بالْعَمـــى   قـــالتِ الكفُّـــارُ زُورًا وخَتَـلْ

ضرَّهـــا لاتٌ وعُـــزَّى إذْ رَمَـتْ   امْتِعاضًـا منهمـا حَبْـلَ الوسَـلْ

فشفاهـــا اللهُ لَمَّـــا أنْ دعَـــا   والْتَـوَتْ أعناقُهــم خِزيًـا وذُلّ

والتي جاءتْ لِتُعْطَى لُقمةً ... لاكَها تَبْغي حَياءً قدْ عزل [٦٢]

زالَ عنها ما بها وأصبحتْ ... في حياء الوجهِ ضَرْبًا للمَثَلْ

وشُرَحْبيلُ انمحتْ عن كفِّه ... سِلْعَةٌ صدَّتْه عن مَسْكِ الْجُدلْ [٦٣]

القسمُ الخامسَ عشرَ: مُعجزاتُه ﷺ في بركةِ الطعامِ والشرابِ

ودعَا جَمْعًا مِنَ أهْلِ صُفَّةٍ ... كابَدوا واتَّخذوا الليلَ جَمَلْ [٦٤]

لطعامٍ قَدْرِ مُدٍّ قدْ كَفى ... للثَّمانينَ وقدْ زادَ الأُكلْ

وابنُ أَسْقَعَ اشْتكى من فاقةٍ ... مُذْ ثلاثٍ لم يَذُقْ طَعْمَ الأَكَلْ [٦٥]

فدعَا خُبْزًا بسمنٍ فتَّهُ ... ودعَا قومًا لِيَنْتابوا النُّزُلْ

فالثلاثونَ أتَوْه وانتهى ... كُلُّهم شَبْعًا وبعدَهم أَكَلْ

وهو باقٍ لم يَزِدْه أكلُهم ... غيرَ تكثيرٍ وما كانَ أَقَلّ

كانَ في قدحٍ حليبٌ فاترٌ ... وابنُ دَوْسٍ طاوِيَ الكشحِ دَخَلْ [٦٦]

فأشارَ أنْ يُضيفَ صحبَه ... يَشربوا نَهْلًا ومَنْ قدْ شاءَ عَلّ

فأداروا الْقَدحَ يَنْتابونَهُ ... وارْتوى الكلُّ وما غاضَ السَّمَلْ

واغتذَوا يومًا ثَريدَ قَصعةٍ ... من لَدُنْ صبحٍ إلى ظُهْرٍ وَصَلْ [٦٧]

وهيَ مَلأى قدْ رَبَتْ من فَوْقِها ... واستدارتْ تُجتلى مِثْلَ القُلَلْ

[٦٨] آلُ مَسعـــودٍ بِفيهـم أَعْنُزٌ … فكَفاهُـم نِصْــفُ شـاةٍ وفَضَـلْ

[٦٩] وقضَى عن جابرٍ من صُبْرَةٍ … مـا عليــه مـن دُيـونٍ لا تَقِـلْ

لـم تكـنْ تكفـي إذا أحصيتَهـا … بعـضَ مـا ادَّانَ فقُـمْ واذْهَـبْ وكُلْ

وقضَاهـــا مُوفيًـــا إذْ أنكـروا … حَطَّهـــا شَيئًا وتأخيــرَ الأَجَـلْ

[٧٠] أربعينَ مـــن عَشيرةٍ دَعـــا … إذْ (وَأَنْــذِرْ) في العَشيــرةِ نَــزَلْ

كـــانَ كـــلٌّ منهـم مِـن بَنْـطِهِ … آكِـــلًا جَذْعًـا وشـرِّيبَ القُلَـلْ

فانْتهـــوا شَبعًا ورِيًّـــا كلُّهـم … من طعامِ الرِّجْلِ أو قَعْبِ الرَّسَلْ

قـــالَ إذا عبـد عُـــزَّى جاحِـدًا … عمَّكُـم سِـحْرٌ وفاجَاكُـم هبَـلْ

[٧١] مَجَّ في ماءِ السطيحِ فارْتوى ٢٠٠ ذلـكَ الجمـعُ الكثيـرُ وانْتَهَـلْ

وهـيَ مَلأى لـم يَغِـضْ من مائِهـا … بَـــلْ وزادتْ اِمتـلاءً وكَمَـلْ

[٧٢] إذْ أتَـــوْا بِيـــرًا قليلًا ماؤُها … لا يُـرى مـن نَزْحهـا فيهـا سَـمَلْ

فرمَـى سَـــهْمًا بأدْنــى قَعرِهـا … جـاشَ فيهـا المـاءُ وانسحَّ السُّبلْ

[٧٣] كـان للْمِيضاةِ شـأنٌ مـا رأى … مثلَـه الـرَّاوُون في كُتْـبِ النِّحَـلْ

ضَمَّــهُ في صــدرِه ثـــمَّ دَعـا … فاسْتقى السَّبْعون مـا فيـه خَلَـلْ

[٧٤] بـاهِلِيُّـون رأوْا فأسْلمـــوا … زالَ جُـوعُ الباهلــيِّ وانْتَهَـلْ

[٧٥] أسْلمتْ دَوْسٌ جميعًا إذْ رَأَوْا … أُرْوِيَـــتْ أمُّ شُـرَيْكٍ بالعَلَـلْ

أَوْقَـدَتْ اِمْـرأةٌ تنُّورَهـا ... ذاتَ يومٍ وهْيَ في جَهْدٍ ثُقُلْ [٧٦]
ورحَاهـا حرَّكـتْ كـي يَعْلمـوا ... مـا بهـم جُـوعٌ ولا فَقْـرٌ مُـذِلّ
فامْتلـى التَّنُّـورُ خُبْـزًا يَانِعًـا ... والرَّحى صبَّتْ دقيقًا وازْمَعَلّ
ورأى شــاةً لأمِّ مَعْبَــدٍ ... لا تَـدِرُّ مـن حليبٍ بالْبَلَـلْ [٧٧]
مـسَّ ضَرْعَيْهـا وجـسَّ ظهرَهـا ... فاسْتحالَتْ وهْـيَ في أَوْفى الْكَفَـلْ
ضَرْعُهـا بـالـدَّرِّ مَـلآنٌ إذا ... تَحْتَلِبْهـا زادَ دَرٌّ واحْتَفَـلْ
وعَنـاقٌ لـم تَلِـدْ إذ مَسَّـها ... في مَكانِ الضَّرْعِ أَدْلَتْ تَحْتَفِلْ [٧٨]

القسمُ السادسَ عشرَ: مُعجزاته ﷺ في إجابة دُعائه ﷺ

وشَـكَوْا بَـرْدًا شـديدًا عاقَهـم ... عن صلاةِ الصُّبحِ واسْتولى الكَسَلْ [٧٩]
فاسْـتعاضوا مَرْوَحًـا مـن بعـدِه ... وكُلوحُ البـردِ زالَ وانْتَقَـلْ [٨٠]
وعُبـادة لـم يَشِـبْ مـن رأسِـه ... وهْـوَ في عَشْـرِ الثَّمانيـنَ دَخَـلْ
وبشـيرٌ لـم يَشِـبْ مـن رأسِـه ... مَوْضعُ الكفِّ وسائره اشْتَعَلْ [٨١]
ثـمَّ زالـتْ مـا بـه مـن رتَّـةٍ ... في لسانٍ وانجلتْ حينَ تَفَلْ [٨٢]
واليهـوديْ إذْ دعَـا تَجْميلَـهُ ... صِينَ كَلْحًا وَجْهُهُ وهْوَ هَمَلْ [٨٣]
أُعطـيَ السَّـعدُ قَبـولَ دعـوةٍ ... ما دعـا إلّا أُجيبَ لا مَهَلْ [٨٤]

[٨٥] وابنُ عوفٍ بُوركَتْ صَفقاتُه ... يَستفيدُ الرِّبحَ لو تُرْبًا أَقَلّ

[٨٦] آمنتْ أَسْلِفَةٌ لَمَّا حَوى ... أهلَ بيتٍ في رِداءٍ وشَمَلْ

ودعَا بالسِّتْرِ عن نارٍ لهم ... وبتطهيرٍ عنِ الخُلُقِ الرَّذِلْ

[٨٧] رافَقَتْها إذ رأتْ جُدرانُه ... أعلنتْ آمينَ في صوتٍ زَجِلْ

[٨٨] بلَّغَ الأملاكَ ذِكرى ربِّه ... أَرْسلَ الكُتْبَ على أَيدي الرُّسُلْ

فتصدَّى كلُّهم إذ بلَّغوا ... بلسانِ كلِّ قومٍ وارْتَجَلْ

[٨٩] وعَسيبُ النَّخلِ لَمَّا أن حبَا ... ابنَ جحشٍ صارَ سَيْفًا لا يُفَلّ

القسم السابع عشر: معجزاته ﷺ في إخبار الغيوب والكوائن بعده ﷺ

كم غُيوبًا بعدَه أنبا بها ... تَحتوي البُشرى وأنباءَ الوَهَلْ

[٩٠] والنَّجاشيْ يومَ ماتَ مُؤمنًا ... أَخبرَ القومَ عَيانًا ما اعْتَكَلْ

[٩١] كَنزُ كِسْرى بشَّرَ القومَ بها ... يَنثُلون ذُخرَه نَثْلَ العَسَلْ

[٩٢] والعِراقانِ كذا ومِصْرُها ... يَفْتحون بالسُّيوفِ والأَسَلْ

[٩٣] وغُزاةُ البحرِ أنباهم بها ... يَركبون كالملوكِ في الحجَلْ

[٩٤] مُلْكُ كِسْرى مُزِّقَتْ أوصالُه ... لم يَقمْ منها نِظامٌ وانْخَزَلْ

[٩٥] وغَدا للمُسلمينَ مَغرِبٌ ... ذاتَ أمنٍ وارتقاءٍ ونَبَلْ

وجَـرَتْ للـرُّومِ نَطْحـاتُ الوَغـى   من مُلوكِ المُسْلمين لم تَزَلْ [٩٦]

قـامَ قـرنٌ بعــدَ قــرنٍ بائـدٍ   والتَّجـاري بينَهـم سَجْلُ الـدُّوَلْ

وتَسيرُ الظَّعْنُ ليـلًا مــا بهـا   من سُرى أرضِ الفَلا خَوْفٌ يَحُلّ [٩٧]

ويَفيـضُ المـالُ فَيضًـا لا تَـرى   يَجْتـدي منهـم عَديـمٌ أو مُقِـلّ

وبقــوم يَمرقُــون لا لهــم   غيرُ وسمِ الوجهِ دِينٌ أو عَمَلْ [٩٨]

وبنــارٍ في الحجــاز إذ يُـرى   منه في بُصـرى بَوافيخُ الإبِلْ [٩٩]

كــلُّ ذاك قـدْ أتـى لـم يَنْتَقِـضْ   أو سَيَـأْتي في قُـرونٍ تَتَّصِلْ [١٠٠]

خاتمة

في الحث على حفظ المعجزات المذكورة في هذه القصيدة
وطلب الدعاء لمؤلفها والصلاة والسلام على خير البرية شفيع المذنبين
سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وآله وأصحابه وسلم

هــذِه آياتُــه أمْلَيْتُهــا   مـن أُلُـوفِ المُعجـزاتِ أَنْتَخِـلْ

مئـةً خُذهـا وإمَّـا إنْ تُــرِدْ   أن تزيـد فَانظُـرِ الكُتْـبَ تَنَـلْ

خُـذْ وعلِّقْهـا وأتْقِـنْ حِفْظَهـا   تاليًـا عنـدَ الغُـدُوِّ والأُصُـلْ

وادْعُ لـي بالعِتْـقِ عن نـارِ اللظى   وبفـوزِ الخُلْـدِ في روضٍ خَصَـلْ

وبتوفيقـــي لأعمـــالٍ زكــتْ ... وبحُسْـنِ الخَتْـمِ عنـدَ الْمُرْتَحَـلْ

وصـلاةُ اللهِ أذكاهـــا شَـــذًى ... ثـمَّ أنماهـــا نَمـــاءً مُتَّصِـلْ

وصــلاةُ اللهِ ربِّـــي كلَّمـــا ... أَشْـرَقَتْ بالشمسِ أَطرافُ القُلَـلْ

أو بَـدا في الغَيمِ بــرقٌ لامـعٌ ٢٥٠ أو أتـى بالغيـث هَتَّــانٌ هَطـلْ

أو زهَـا في الـرَّوض زهـرٌ زاهـرٌ ... أو تَهُـزُّ الريـحُ أغصـانَ الغَتَـلْ

أو سَـرى في الليـل بـدرٌ طالـعٌ ... أو بــدا نجــمٌ لأبنـاءِ السُّـبُلْ

أو يُناجِــي اللهَ عبــدٌ خاضـعٌ ... أو دعـــا لله داعٍ وابْتَهـــلْ

تَنْـزِلُ دَومًـا علـى خيـرِ الـوَرى ٢٥٤ مَبـدأِ الـكلِّ غِيـاثِ الْمُرْتَمَـلْ

قصيدة بائية المعجزات

على حذوِ قرينتِها السَّالفةِ قُبيلَ هذهِ

[البحر البسيط]

قد كنتُ أمليتُ من آياته مئةً … يزيدُك الحبَّ والإيقانَ والقُرَبا

فالآنَ لَمَّا رأيتُ الطَّالبينَ لها … زادُوا غرامًا وراموا فوقَها الرُّتَبا

جمعتُ في النَّظْمِ من إعجازِه مئةً … أُخرى على ما تَراها صَفوةً نُخَبا

جواهرٌ نُضِدَتْ دُرٌّ مُنَظَّمَةٌ … عِلْقٌ نفيسٌ يُريكَ الدُّرَّ مخْشَلبًا

أَوْصى لعثمانَ لا تَخلعْ إذا سألُوا … ما قَمَّصَ اللهُ من ثوبِ العُلا وَحَبا [١] معجزة

أَوْصى عَلِيًّا قتالَ النَّاكثينَ له … والقاسِطينَ إذا ما أَحْدثوا شَغَبا [٢]

والْمَارقينَ الأُلَى ما كان بُغيتُهم … إلا التَّنَصُّلَ لا خَوْفًا ولا رَغَبا

وقالَ أَوْشَكَ أنْ تدمى لِلحيَتِه … مِمَّا يسيلُ من الصُّدْغَيْنِ مُنْسَكِبًا [٣]

وقالَ لا تَنقضي الدُّنيا وعِدَّتُها … حتى يَليها أَشَجُّ الخيرِ مُحْتَسِبًا [٤]

أعطى السِّوارَيْن للكِسرى إذا غنِموا … سُراقةَ الْمُدلِجِيَّ الْمُلْتجي عَطَبا [٥]

[٦] وعُكَّةُ السَّمنِ لمَّا أُهدِيَتْ بقِيَتْ   تَفيضُ سَمْنًا وما جَفَّتْ ولا نَضَبا

حتى إذا عُصِرَتْ جفَّتْ وما وجَدوا   فيها من السَّمْنِ ما يَقْضي لهم أَرَبَا

[٧] أبا هُريرةَ أعطى التمرَ يأكلُها   من الجِرابِ قدِ اسْتكفى بها حِقَبَا

حتى إذا كانَ يومُ الدارِ أقْلَقَهُ   إذْ ضاعَ منه الجِرابُ الهمَّ واكْتأَبا

[٨] واستأذَنَتْ لغَزاةٍ كي تنالَ بها   ذُخْرَ الشهادةِ يا سُؤْلا ومُطَّلَبا

فقال تُرزَقُها في البيت ثاويةً   وبالشَّهيدةِ سمَّوْا فارْتضتْ لَقَبَا

ودبَّرتْ عبدَها مِلْكًا وجاريةً   فأثْخنَاها بقتلٍ بعدَه صُلِبَا

[٩] وأخبرَ القومَ يَأتيكُم غداةَ غدٍ   من الرجال حكيمٌ جالَ وادَّرَبا

وإذْ غَدَوْا يرْقُبُون المرءَ جاءَهمُ   عمرُو بْنُ عاصٍ على نأيٍ به رَغِبا

[١٠] وقال تأْتونَ أرضَ الشامِ جابِيةً   تلْقون فيها من الطَّاعونِ ما صَعُبا

ويأخذُ الموتُ جندَ المُسلمينَ بها   أخذًا سريعًا فيا فوزًا لِمَن عطِبا

[١١] وكان كاتبُه للوحي يُبْدِلُه   وارتدَّ من بعده ثم الْتجى هَرَبا

فقال تقذِفُه أرضٌ يموتُ بها   فأبصروا النَّعْشَ مَنْبوذًا ومُجْتَنَبا

[١٢] وكان خاتَمُه من سرِّه عَجَبًا   زيدٌ أبانَ به مَيْتًا وقدْ خطَبا

ما دامَ فيهم تكونُ الأرضُ آمنةً   والشملُ مُلْتئمًا لم يَنْشعِبْ شُعَبا

وحينَ أُلقيَ في بئرٍ فأعجَزهم   أن يُخرجوه فلا تَسألْ بما ذهَبا

وافَتْهُمُ فِتَنٌ من بعدِها فِتَنٌ   قَتْلُ الخليفةِ أدهى ما دَهى العَرَبَا

وقال أُثبُتْ وقد ساروا على أُحُدٍ   وظلَّ يرجُفُ مُرْتَجًّا ومُضطَرِبًا [١٣]

فما عليكَ إذنْ إلا نبيُّ هُدًى   وصاحبُ الغارِ صِدِّيقٌ بما صَحِبَا

ثمَّ الشَّهيدانِ فاروقٌ وصاحبُه   عُثمانُ يَحتَمِلُ الأرزاءَ مُحتَسِبَا

وأَوْثَقَ الجِنَّ أَسْرًا ثم أطلقَهُ   رَعْيًا لِمُلْكِ سُليمانَ الَّذي وَهَبَا [١٤]

وأُمُّ أيمنَ لَمَّا هاجرتْ عَطِشَتْ   فما سَقَوْها ولا ماءَ ترى كَثَبَا [١٥]

فأَبْصَرَت قدْ تدلَّى فوقَ مَفْرِقِها   دَلْوٌ من الماءِ ما أحلاهُ إذْ شَرِبَا

وأَصبحتْ لم يُصِبْها دَهرَها عَطَشٌ   صَوْمُ الهَواجِرِ لم يُحْدِثْ لها نَصَبَا

وأَصبحَ الجنُّ لَمَّا سُدَّ مَسلَكُهُم   وحِيلَ بينَهُمُ إذْ أُتبِعُوا شُهُبَا [١٦]

ساروا بِمَشْرِقِ أرضٍ ثمَّ مَغْرِبِها   لِيَنظُروا ما به سُدُّوا وما حَجَبَا

وإذْ رأَوْه يُصلِّي الصُّبحَ واسْتَمَعُوا   بذاتِ نَخلةَ قُرْآنًا قَضَوْا عَجَبَا

وَاسَى صَحابَتَه إذْ ساقَ عِيسَهُمُ   بالأقطعِ الخيرِ يَحدو يَرْفَعُ الحُجُبَا

وجُنْدُبٌ حيثُ يَأْتي أمَّهُ وُجِدَتْ   بضربةِ السيفِ يَجلو الشِّرْكَ والرِّيَبَا [١٧]

ويومَ بدرٍ نُعاسُ الأمنِ أدرَكَهُمْ   مالَ الرُّؤوسُ به فاستيقَنوا الغَلَبَا [١٨]

وإذْ يُقلِّلُ جَمعَ المُشْركينَ بهِ   في عَيْنِهم لِيَظُنُّوا الفتحَ مُقْتَرِبَا [١٩]

وأنزلَ اللهُ جُنْدًا من ملائكةٍ   مُسَوَّمينَ يَحُزُّون الطُّلى نُوَبَا [٢٠]

فَأَرْؤُس القومِ كمْ شاهدْتَ ساقِطةً   عن الرِّقابِ ولا يَدرون مَنْ ضَرَبَا

[٢١] وأنزلَ الغيثَ تَلبيدًا لِرَمْلِهِمُ   يَمشون مَشْيًا على مِثْلِ الصَّفا خَبَبَا

وصارَ للمُشركينَ الوَحْلُ يَمنَعُهم   عن المسيرِ فلا مَنجى لِمَنْ طلبَا

[٢٢] أعطى عُكاشَةَ عُودًا كي يَصُولَ بها   فصارَ سَيفًا يَقُدُّ البِيضَ واليَلَبَا

[٢٣] كذلكَ ابنُ جُريشٍ حينَ ضاعَ له   سيفٌ حباهُ قَضيبًا صارَ مُقتَضَبَا

[٢٤] أمالَ شِقَّ خُبيبٍ ضربةٌ وقعَتْ   وجاءَ يَتْفُلُ فيها فاستوى عَصَبَا

[٢٥] وقَبْضةٌ من تُرابٍ قد أصيب بها   لَمَّا رمى كلَّ عينٍ واشتكتْ حَصَبَا

[٢٦] وحينَ وافَوْا الذاتِ الحنظلِ اتَّسعتْ   ساروا صُفوفًا وضِيقُ الشِّعْبِ ما حجبَا

[٢٧] وأشرقَ الليلُ أنوارًا اجلَتْ ظُلَمًا   كأنَّه مُقمرٌ والبدرُ قدْ غَرَبَا

[٢٨] وقالَ مَنْ هَبطَ الوادي فقدْ غَفَلُوا   إلا رُوَيكِبَ فَحْلٍ حادَ واجْتَنَبَا

[٢٩] وجابرٌ قدْ رَأى خَمَصًا به فمَضَى   يَبْغي له ما يَسُدُّ الجُوعَ والسَّغَبَا

فهَيَّأَتْ داجِنًا في القِدْرِ واختبَرَتْ   وجاءَ يَدعو لِيَمْضي وحدَه فأَبَى

نادَى لعسكرِه في الخندقِ اجْتمعُوا   إلى طعامٍ نَضيجٍ فانْتَهوا وَرَبَا

وبُرْمَةُ اللحمِ ما زالتْ تفورُ به   والخُبزُ يُخبَزُ لم يَنقُصْ ولا نَضبَا

[٣٠] وكُديةٌ إذْ أتاها بَرْقةٌ بَرَقَتْ   منها أضاءتْ قُصورُ الشامِ والحلبَا

[٣١] ولم يضعْ قِبْلَةً إذْ خطَّ مَسْجِدَهُ   حتَّى رَأى بالعِيانِ البيتَ ما حُجبا

وكان عَيـنُ أبـي ذرّ أُصِيـبَ بهـا فأصبحتْ لا تَراها تَشْتكي وَصَبا [٣٢]
وكان صفوانُ مَحزونًا وقدْ رجعُوا من يوم بدرٍ على قَتلاهُمُ كثبًا [٣٣]
وقـال للجُمَحـيِّ إنْ رُحْـتَ تَقْتُلُـه أَكْفلْ عِيالَـكَ والدَّيْـنَ الَّـذي لَزِبَـا
وجـاءَهُ يَبْتغـي كَيْـدًا فأَخْبَـره بمـا تَناجَـوْا بـه عَقْـدًا لِمَـا رَتَبـا
فأَسْـلمَ الجُمَحـيُّ إذْ ذاكَ ثـمَّ أتـى يَدْعو إلى الحقِّ مَنْ قدْ كانَ مُجْتَنِبَا
وعُقْبَـةُ بـنُ مُعَيْـطٍ حيـنَ أَطْعَمَـهُ أَدَّى الشهادةَ بالتَّوحيدِ وانقَلَبَا [٣٤]
وحيـنَ أَنَّـبَ مِـنْ إخوانِـه رَجُـلٌ أَلقـى البُـزاقَ فيـا وَيْـلاهُ مـا ارْتَكَبَـا
فلـم يَـزِدْ غيـرَ مسـحٍ عـن بُزاقَتِـهِ ولـم يُغَلِّـظْ لـه قَـوْلًا ولا عَتَبَـا
وقـالَ تُقْتَـلُ صَبْـرًا إن خرجـتَ غَـدًا من الشِّعابِ وتَلْقى الخِزْيَ قدْ رَكِبَا
وافَـوْهُ فِي الوَحْـل مُنْسـاخًا بأَخْمـرِهِ فأَثْخَنُـوه بقتـلٍ بعدَمـا وعبَـا
وسـاقَ سَـلْمَةَ لَمَّـا أُدْمِيَـتْ بَقِيَـتْ إذْ جاءَ يَنْفُثُ فيها لا تَرى نَدَبًا [٣٥]
وعاهـدَ المُشـركونَ القـومَ أنْ يَـذروا في الشِّعْبِ مَنْ معه حجْرَ المَا جلبًا [٣٦]
ويَقْطَعـوا مِيـرَةً عنهـم فيُلْجِئَهـم أَنْ يُسْلِموه لهـم أو يَهْلكـوا سَـغَبَا
وفي الصَّحيفـةِ لَمَّـا مُزِّقَـتْ عِبَـرٌ لِمَـنْ تَذَكَّـرَ بالآيَـاتِ أو رَغِبَـا
لكنَّهـم لـم يَدَعْهـم طُـولُ شَقْوَتِهم أنْ يُؤمِنوا فـرأَوْه السِّـحْرَ والكَذِبَـا
وجُذْجُذُ الجِنْدَعي لَمَّا افْترى كَذِبًا نالَتْه أَفْعى بليلٍ فانْهوى حَرَبًا [٣٧]

[٣٨] وجاءَ شاةٌ بليلٍ حينَما افتقدوا ... مَـاءً وزادًا فـأَرْوَتْ كلَّ مَـنْ حَلَبَـا

وكان أَوْصى بحفظِ الشاةِ فافْتُقِدَتْ ... لا يُقْتَفَـى أَثَـرٌ منهـا ولا عَجَبَـا

[٣٩] وعاصمٌ قدْ حَمَتْهُ الدُّبْرُ إذْ قَتلوا ... فمـا دَنـا مُشْـرِكٌ منـه ولا قَرُبَـا

وإذْ نَـوَوْا قَطْعَـهُ بالليـل وارتَضَـوْا ... وافـاه بالليـل سَـيْلٌ آيَـةً ذهبَـا

[٤٠] وفي خُبيبٍ بَليغِ الأرضِ مُعْتَبَرٌ ... لَمَّـا رأتْ عنْـدَه قِطْفًـا ولا عِنَبَـا

[٤١] ورافعٍ إذ أصابَ السهمُ ثُنْدُوَةً ... منـه وأَصبـحَ بالأوجـاعِ مُكْتَئِبَـا

فقـال أَنْـزِعُ سـهمًا دونَ قُطْبَتِـه ... أرجـو الشهادةَ تَحويها ولا عَجَبَا

فعـاشَ دهـرًا طويـلًا مـا بـه أَلَـمٌ ... والجرحُ مُنْدَمِلُ الأعماقِ ما انْثَعَبَا

وقـام ابـنُ أبـي سُـفيانَ فانْفجـرتْ ... جُرحًا يَسيلُ وفاضتْ نفسُه طَرَبَا

[٤٢] وليلةُ البدرِ لَمَّـا كان أخبرَهُم ... مَصارِعَ القومِ ما أخطا ولا كَذَبَا

[٤٣] خَصَّ الخريمَ بشيماءَ التي اعْتَجَرَتْ ... إذا أتـى الحِيـرةَ الشَّـهباءَ مُنْتَهِبَـا

فبـاعَ بالألـفِ لَمَّـا لـم يكُـنْ عـددٌ ... لديـهِ أزيـد مـن ألـفٍ ولا حَسَـبَا

[٤٤] وكان ابنُ أبي عاصٍ إليه شَكا ... من سُـوءِ حِفْـظٍ على قُرآنِـه غَلَبَـا

فقـالَ اخْـرجْ لشـيطانٍ بـه فغَـدا ... لـم يَنْـسَ من بعدِهـا شَيئًا إذا وَعَبَا

[٤٥] والوحشُ قدْ كان يَجْثو من تَأَدُّبِه ... وحيـنَ راحَ مَشـى في البيتِ أو لَعِبَـا

[٤٦] وكان تحتَ جُعَيْلٍ إذْ غزا فرسٌ ... عَجْفاءُ تَضْعُفُ عن عَدْوٍ إذا رَكِبَا

فصـارَ لَمَّـا عَـلا ضَرْبًـا بِمِخْفَقَـةٍ   لا يَمْلِـكُ الـرأسَ مُنْهـالًا ولا ذَنَبَـا

وحُمْـرَةٌ عَرَضَـتْ تَشْـكو لفادحـةٍ   فَرَدَّ في وَكْرِها الفَرْخَانِ ما اغتَرَبَا [٤٧]

مـاتَ الحمـارُ فناجـى اللهَ راكبُـهُ   أن لا يُحَمِّلَـــهُ مَنًّـــا ولا تَعَبًا [٤٨]

فقـامَ إذْ نَفَـضَ الأُذْنَيْـنِ يَحْمِلُـهُ   حتى أتاهُ يَجوبُ البِيدَ والهَضَبَـا

والبِئْرُ إذْ خَرجتْ بالحَفْرِ مالحةً   حالتْ بِمَجَّتِهِ إذْ ماؤُها عَذْبًا [٤٩]

يـومَ الحُنَيْـنِ إذا مـا غـرَّ كَثْرَتُهـم   فلم تُفِدْهُمْ ووَلَّتْ تَتْبَعُ العَقَبَا [٥٠]

وافَـى السَّـكينةُ فانْثابَـتْ قلوبُهُـمُ   وأيْقنُـوا أنَّ فَتْحًـا حـانَ واقْتَرَبَـا

وأُيِّـدوا بجنـودٍ أُنزِلَــتْ بِـدَدًا   من السَّماءِ كَنَمْلٍ تَمْلأُ الصَّبَبَا [٥١]

وقـالَ للبغلـةِ الشَّـهباءِ الْتَزِقـي   بالأرضِ فالْتَزَقَتْ سَمْعًا لِمَا نَدَبَا [٥٢]

وإذ يقـولُ وعَبَّـاسٌ بنفرتِهـا   أنا النبيُّ نَبيُّ الخَتْمِ لا كَذِبَا [٥٣]

وشَـيْبةُ الجُمَحـيُّ لَمَّـا أرادَ بـه   سوءًا أتاهُ شِهابٌ لافِحٌ حَجَبَا [٥٤]

ويـومَ مُؤْتَـةَ لَمَّـا اسْتُشْـهِدوا رُفِعَتْ   أرْضُ القتالِ فأنْباهم وقدْ خَطَبَا [٥٥]

زَيْـدٌ وجَعْفَـرٌ الطيَّـارُ قـد قُتِـلا   وابْـنُ الرَّواحـةِ يَتْلوهـم ومـا نَكَبَـا

وبعدَهُـم قـامَ سـيفُ اللهِ خالدُهـم   على الصُّفوفِ وفلَّ الحدَّ واسْتَلَبَا

كانـتْ تبـوكُ بهـا عَيْـنٌ وقـدْ نَزَلُـوا   تَبِضُّ ماءً ولا تَكْفي لِمَنْ شَرِبَا [٥٦]

ففـارَ منهـا يجيـشُ المـاءُ واخْتَزَنـوا   منهـا المَـزاوِدَ والأوْطـابَ والقِرَبَـا

[٥٧] ثمَّ استحالَتْ جِنانًا ذاتَ أَوْدِيةٍ　　وذاتَ فـرعٍ تـراهُ مُغْدَقًـا خَصِبَـا

[٥٨] أضرَّهم عَطَشٌ يومًا وقدْ خرجُوا　　إلـى تَبـوكَ وصـارَ القَيـظُ مُلْتَهِبَـا

وإذْ دعَـا اللهَ أن يُسْـقَوْا أظَلَّهـمُ　　سَحابةٌ فاسْـتَقَوْا ثـمَّ اقْتَنَـوْا عُلَبَـا

[٥٩] وليلة إذْ أتى الأحزابُ واجتمعوا　　والريـحُ عاصفـةٌ والبَـرْدُ قـد كَلَبَـا

مضـى حُذيفـةُ دفْآنًـا وآبَ كمـا　　كأنَّـه سـارَ في الحَمَّـامِ مُحْتَجِبَـا

[٦٠] وأُرْسِلَ الريحُ في الأحزاب فانهزموا　　كمـا أتـتْ تَقْلَـعُ الأوتـادَ والقُبَبَـا

وهـم يَسِيرونَ لا يَلْوون خَلْفَهُـمُ　　ولا رَعـى سَـيْرُهم إلًّا ولا سَـبَبَا

[٦١] كان اليَهُودي إذا التَّأْذينُ يَسْمَعُهُ　　يقولُ أَحْرِقْ مَنْ قدْ مَانَ أو كَذَبَا

فأَحْرَقَـتْ شُـعْلَةٌ مـن نـارِ جَارِيـةٍ　　طـارتْ شرارَتُها في البيتِ والْتَهَبَا

[٦٢] أصابَ عينَ معاذٍ رَميةٌ فَقَأَتْ　　فعادَ من بَصْقِهِ ضوءٌ وقـدْ قَشُبَا

[٦٣] وحينَ صارَ ابنُ عَوْفٍ في سَرِيَّتِه　　لِكَلْـبِ دَوْمَـةَ أوصـاهُ لِيَنْتَخِبَـا

عَقيلـةَ المُلْـكِ إنْ لبَّـوْا لِدَعْوَتِـه　　ويَصْطفيهـا لـه زَوْجًـا ويَنْتَجِبَـا

فأَسْلَمَ الأَصْبَغُ الكَلْبيُّ واصْطُفِيَتْ　　تُمَاضِـرُ ابنتُـه بالعَقْـدِ واصْطَحَبَـا

[٦٤] وإذْ دعا اللهَ للإسلامِ من رجلٍ　　مِمَّـن يُحِـبُّ مـن الاثنيـنِ واقْتَرَبَـا

أُجيـبَ دَعْوَتُـه الغَـرَّاءُ في عُمَـرٍ　　وعزَّ من سلْمِه الإسلامُ وانْشَعَبَا

[٦٥] وإذْ دعَا أن يُعَمِّي كـلَّ سابلةٍ　　علـى عُرَيْنـةَ سـاقُوا ذَوْدَهُ نَهَبَـا

أجـابَ دَعْوتـه فاسْتَوْسَـروا بِـدَدًا   فـاتَ الخـلاصُ فـلا هَونًـا ولا كُثُبًا
وقَطَّعوا مِنْ شَـواهُم بعدَ سَمْلِهِمُ   في الشمسِ أُلْقُوا وذاقُوا ما جَنَوْا جَلَبًا
أتـى ضِمـــادٌ لِيَشْـفيهِ برُقْيَتِـه   مِن الجُنونِ الَّذي ظَنُّوا به لَزِبًا [٦٦]
فانقـادَ للسِّـلْم مـن إلقائِـه كَلِمًـا   ناموسُـها يبلُـغُ الدَّأمـاءَ والدَّرِبَـا
وإذْ سَـمِعْنَ وهُـنَّ العاكفاتُ على   طاغُوتهنَّ صُراخًا يَرْفَعُ اللَّجَبًا [٦٧]
أظلَّكُـنَّ نبـيٌّ حــانَ مَبْعثُــه   مَنِ اسْتطاعتْ تكُنْ زَوْجًا له عُرُبًا
حَصَبْنـه ثـمَّ أغْلَظْـنَ الـكلامَ لـه   إلا خديجةَ لـم تَغْضَـبْ لـه غَضَبَـا
فأُكْرِمَـتْ حيثُ صارتْ زوجةً وغَدَتْ   تَـرى وتَسْـمَعُ مـن آياتِـه عَجَبَـا
وجَفْنَةُ الرَّكْبِ جاؤوا يَحْملونَ بها   لِيُفْرِغَ الماءَ فيها إذْ دَعا الشَّجَبًا [٦٨]
وكان يدعُـو ففـارَتْ مـن أصابِعِـهِ   عَيْنٌ تَجيشُ فلـم تَتْـرُكْ لهـم أَرَبًا
أشْـفى على المـوتِ عمَّـارٌ بعِلَّتِـه   حتى بكى حولَه مَنْ كان وانْتحَبًا [٦٩]
وإذ أفـاقَ مـن الإغمـاء قـالَ لهـم   لا مـوتَ لـي في فراشي ذائِبًا وَصِبًا
بـلْ قـالَ حِبِّـيْ رسـولُ اللهِ طائفـةٌ   مـن البُغـاةِ يَلـي قَتْلـي إذا قَرُبَـا
وإذ هَـوى حائـطٌ ظَنُّـوه مـاتَ بـه   فقـالَ مـا مـات عمَّـارٌ ولا عطِبَـا
وقـال آخـرُ مـا يُغْـذى إذا قَرُبَـتْ   وَفاتُـه مـن ضيـاعِ الـدَّرِّ إذْ طُلِبَـا
وقـال مـا لقريـشٍ مُولَعِيـنَ بـه   في النـار قاتِـلُ عمارٍ ومَـنْ سَـلَبَا

[٧٠] وخالدٌ إذ أتى العُزَّى لِيَقْتُلَها ... بنخلـةٍ ضربـت فيهـا لهـا قبَبَـا
رأى بساحتهـا سوداءَ ناشـرةً ... عُرْيانةَ الجسمِ تَدْعو الوَيْلَ والحَرَبَا
[٧١] وعامرٌ ساقَ يَحْدو عِيسَهُم رَجَزًا ... فقـال يرْحَـمُ فاسْتاؤوا لِمَا وَجَبَا
أصـابَ ركْبَتَـهُ سَـهْمٌ فمـاتَ بـه ... وبالشَّـهادة فـازتْ نفسُـه طَرَبَـا
[٧٢] أدَّى الأمانةَ عبدٌ حينَ أَرْسلَها ... تَعْدو إلى مُسْتَحِقِّيها وقدْ حَصَبَا
وجاءَ سهمٌ فوفَّـاهُ شَهادَتَه ... ولـم يَضِـعْ وجْهُـهُ يومًـا ولا تَرِبَـا
[٧٣] أبو قتادةَ شقَّ السهمُ جَبْهَتَه ... وأَثْبتَ النَّصْلَ فيها فاشْتكى شَخَبَا
وجـاءَ يَبْصُـقُ فيهـا ثـم يَنْزِعُـه ... بمسحِ كَفٍّ فلا قاحتْ ولا ضَرَبَا
[٧٤] بالعَطَشِ اضْطَرَبَ(١) الصِّدِّيقُ فانفَجَرَتْ ... في ضِفَّةِ الغارِ عَيْنُ الخُلْدِ إذْ صَبَبَا
[٧٥] ومُدْعَمٌ جاءه سهمٌ فأثْخَنَهُ ... فهَنَّـؤوه بفـوز الخُلـدِ إذ وَجَبَـا
فقـال كلَّا فثـوبٌ غـلَّ مختبيًـا ... مـن المغانـمِ ترمـي باللظـى لهبـا
[٧٦] وخالدٌ قد رأى في النوم والدَه ... يلقيـه في النَّـار لا يرعـى لـه نسبًا
والمُصْطفى آخذٌ حِقْوَيْه يُخْرِجُه ... منهـا فبَغَّضَـهُ الأَوْثـانَ والنُّصُبَـا
[٧٧] وكان صدَّقَهُ من قبلِ مَبْعَثِه ... مبيـنُ عامًـا وأدَّى الحـقَّ وانْتَسَبَا

(١) وحيثما عطش. (الناظم).

جِـنٌّ بـزِيِّ حُـبـابٍ مـاتَ مُنفَـرِدًا ... وارَوْهُ في الرَّمْـلِ حَثْيًـا فوقَـهُ التُّرَبَـا

وإذْ أصابَهُـمُ جُـوعٌ فهـانَ بهـم(١) ... نَحْرُ النَّواضِحِ فارْتاعُوا لِمَا حَزَبَا [٧٨]

نـادى بجمعهـمُ مـن فضـلِ زادِهِـمُ ... فأحْـرزوا منـه مـا لـم يَبْلُـغِ القتَبَـا

وإذْ دعـا فيـه بالتبريـك صـارَ لهـم ... كأنَّــه صُبَـرٌ مَنضـودةٌ وَرُبَـا

فبادَروا أخـذَهُ في الحِيـن واحْتَمَلوا ... منـه الغرائـزَ والقُمْصـانَ والجُرَبَـا

وحيـنَ قاتـلَ أهـلَ الشـقِّ وامْتنعوا ... بحِصْنِهِمْ ورَمَوْا بالنَّبْلِ مُعْتَقِبَا [٧٩]

رمى بكـفٍّ مـن الحَصْبـاءِ حِصْنَهُـمُ ... فساخَ في الأرض بعدَ الرَّجْفِ واسْتَلَبَا

وجـاءَ جيـشٌ لإمـدادِ اليهـودِ بهـا ... فانصاعَ إذْ سمعُوا في أهْلِكُمْ نَهَبَا [٨٠]

وطلحـةُ بـنُ عُبَيْـدِ اللهِ حيـنَ أتـى ... لسُوقِ بُصرى معَ التُّجارِ مُصْطَحَبَا [٨١]

أوصـاهُ راهبُهـا بالسَّـبْقِ مُبْتَـدِرًا ... إلـى إجابــةِ داعـي اللهِ مُرْتَغِبَـا

فجـاءَ مكــةَ يَسْـتفتي فأخبَــرَه ... ببعثة المُصطفى الصِّدِّيقُ فانسحبَا

صـارا قَرينَيْـن في حبْـلٍ يَضُمُّهمـا ... فنِعْـمَ مـا سُـمِّيا مـا أحْسَـنَ اللَّقَبَـا

أَعْطى الثَّلاثِينَ صاعًـا كي يُعينَ بها ... لنَوْفَلٍ في نِكاحٍ إذْ غَـدا تَرِبَا [٨٢]

فلـم تَـزَلْ يأكلـون النِّصْـفَ من سَنَةٍ ... منهـا طَعامًـا عَتيـدًا كلَّمـا طَلَبَـا

---

(١) لهم. (الناظم).

حتى إذا كَالَ إعْجابًا بها نَفَدَتْ   وفاتَهم ما يُزيلُ الفقرَ والسَّغَبَا
وقال لو لم تَكِلْها لم تَغِضْ أبدًا   وكُنْتَ مُسْتَغْنِيًا عن مِيرَةٍ طَلَبَا
[٨٣] وشابَ من مالكٍ رأسٌ ولِحْيَتُه   ومَوْضعُ الكفِّ ما شابَتْ وما خَضَبَا
[٨٤] وحَفْنَةٌ من تُرابٍ إذ رمى ودعَا   شاهَتْ بها أوْجُهٌ واسْتَبْطنوا الرُّعُبَا(١)
[٨٥] وحِصْنُ خيبرَ لَمَّا قامَ يَحْصِبُه   ما زال يَرْجُفُ حتى ساخَ وانْقلبَا
[٨٦] وإذْ نَوَوْا أن يَميلوا مَيْلَةً فأتى   جبريلُ يُخبرُه عمَّا نَوَوْا خَبَبَا
وفاجَأتْهمْ صلاةُ الخَوْفِ فانْصَرفوا   عمَّا أرادوا وحاقَ المَكْرُ وانْسَرَبَا
[٨٧] وأَهْدتِ الْجَدْيَ مَشْويًّا يَهُودِيَةٌ   تُوفِي بِنَذْرٍ لها في الفَتْحِ إذْ غَلَبَا
فأنطقَ اللهُ ذاكَ الْجَدْيَ فافْتُضِحَتْ   وحاقَ ما مَكَرَتْ بالسُّوءِ وانْقَلَبَا
[٨٨] ويومَ خَيْبرَ إذْ أبْدى به رجلٌ   جهْدًا عَظيمًا يُذيقُ الموتَ مَنْ قَرُبَا
وأعظمَ القومُ ما قدْ راعَ سَمْعَهُمُ   بأنَّ صاحبَهم في النار مُلْتَهِبَا
[٨٩] رأتْ صفيَّةُ في نومٍ كأنْ قمرٌ   في حِجْرِها ساقِطٌ فاسْتَيْقَظَتْ عَجَبَا
وحينَ قصَّتْ على عمٍّ لها لَطَمَتْ   بلَطْمَةٍ أثَّرَتْ في العينِ ما رَتَبَا
[٩٠] وارتَجَّ مِنبرُهُ إذ قامَ يخطُبُهم   رَجْفًا شديدًا فلم يَسْقُطْ ولا نَكَبَا

---

(١) شاه الوجوه بها. (الناظم).

ولـم يـَزَلْ ابْـنُ عـوفٍ حيـنَ رِحْلَتِه ... إذا أتى اليَمَنَ المَيْمونَ مُكْتَسِبًا [٩١]

يَنوي مُقيمًا على عَسكانَ يَسْأَلُه ... هلَ قامَ من يكسِرُ الأصنامَ والصُّلُبًا

وإذْ أتـى آخـرًا يلقـاهُ بشَّره ... ثـمَّ ارتضـاهُ رَسـولًا بلَّـغَ الكُتُبَـا

وخالـدُ بـنُ وليـدٍ حيـنَ أرْسَلَهُ ... إلى أُكَيْدرَ يَسْبيهِ بِمَن صَحِبَا [٩٢]

وافـاهُ بالبـاب مُضطـادًا لبَقْرَتِـه ... ولـم يكُـنْ صيدُهـا هَوْنًـا ولا كَثَبَـا

والبحـرُ ألقـى إليهـم إذْ أصابَهُـمُ ... جوعٌ بعنبرِه سَدًّا لِما الْتَهَبَا [٩٣]

فاسْتَطْعَمُوا منه شَهْرًا واقْتَنَوْا وَدَكًا ... ومـرَّ فارسُـهم مـن ضِلْعِـه سَـرِبًا

وكان خالـةُ عثمـانَ التـي كَهَنَـتْ ... في الجاهلية أوصَتْـهُ لِيَرْتَغِبَا [٩٤]

فـراحَ يَلْقـى أبـا بكـرٍ فقـالَ لـه ... هـذا نبيُّ الهُـدى آمِـنْ بـه رَغَبَـا

أدّى الكتابةَ مـن سَلْمانَ إذ عُقِدَتْ ... بغَرْسِ ما أطْعَمَتْ من عامِه رُطَبًا [٩٥]

وقِطْعـةٌ مـن نُضـارٍ إذ حَبـاهُ بهـا ... أدَّى الأوَاقِيَ واستَبْقَى له نَشَبَا [٩٦]

وكان بَيْسـانُ مـاءً مالِحًـا فغَـدا ... إذْ غيَّرَ الاسمَ نُعمان وقدْ عَذُبَا [٩٧]

وليلـةً أسْـعَدَ الفَيْـروزَ فَتْكَتُـه ... بأسودٍ كـاذبٍ إذْ رأسُه هَذَبَا [٩٨]

وجـاءَهُ الوحـيُ أنباهُـم بِبكرَتِـه[1] ... أنَّ المُبـاركَ فيـروزُ الَّـذي غَلَبَـا

---

(١) بيكرتها. (الناظم).

[٩٩] وقالَ إذْ شَمتُوا من فقدِ ناقَتِه ... زِمامُها في غُصونِ الشِّعْبِ قدْ نَشَبَا

فأَدْرَكوها كما قد كـــان أخبرَهم ... وأذْعَنَ الْمُمْتري للحقِّ وانْتَدبَا

[١٠٠] ومَاسَها بعدَ بَسْطِ الثوبِ حينَ دعَا ... أبـو هُريـرةَ في شـيءٍ ولا اضْطرَبـا

ومُصْعَبٌ إذْ قضَى أعْلى اللِّواء له ١٩٩ ... في زِيِّـهِ مَلـكٌ يُدْعـى بـه لَقَبـا

قصيدة همزية

تَتَضَمَّنُ ذِكْرَ صُروفِ الزمانِ وطَوارقَ الحَدثانِ، ثمَّ تقلُّبَ الأحوالِ بالفَرجِ بعدَ الشدَّةِ، وتتضمَّنُ الإرشادَ إلى التخلُّقِ بالأخلاقِ الفاضلةِ والملكاتِ الراسخةِ، والتمسُّكِ بالأعمالِ الصالحةِ، ثمَّ الانتقالِ إلى إظهارِ مَسْكَنَةٍ ومَضَرَّةِ الابتلاءِ بالمعاصي والذنوبِ، ثمَّ الابتهالِ والتضرُّعِ إلى اللهِ ﷻ بالمناجاةِ والدُّعاءِ والتوسُّلِ بجاهِ سيِّدِ الكَوْنَيْنِ صلَّى اللهُ تعالى عليه وسلَّمَ.

[البحرُ البسيطُ]

١ لا تَيْأَسَنْ إنْ يُصِبْكَ اليومَ ضَرَّاءُ ... ففي غدٍ يَعْقُبُ الضَّرَّاءَ سَرَّاءُ

الدهرُ ذو غِيَرٍ والناسُ في عِبَرٍ ... والحالُ مُنْقلبٌ بُؤْسٌ ونَعْماءُ

بَيْنَا يَنوبُكَ أهوالٌ تزولُ بها ... شُمُّ الجبالِ ورُضَّتْ منه صَمَّاءُ

إذ هبَّتِ الريحُ يَتْلوها بارقةٌ ... من وابلِ اللُّطفِ مِدْرارٌ وسَحَّاءُ

كم من بئيسٍ غدا رَهْنًا لِمِحْنَتِهِ ... ضاقتْ عليه بَسيطُ الأرضِ فَيْحاءُ

ما ذاقَ طَعْمَ مَنامٍ طُولَ ليلتِهِ ... يَدعو ثُبورًا ولا يَغْروه إغْفاءُ

أتى له فَرَجٌ ما شابَهُ تَرَحٌ ... أحْيا له فَرَحًا وانسابَ غَمَّاءُ

فاخترْ لنفسِكَ ما يَرضى الإلهُ به … في حالتَيْـــكَ ولا يُقلِقْـــكَ أرْزاءُ
واكْسَبْ لها من خِصالٍ ما تُزانُ به … كمـا تُقَلَّـدُ عقـدَ الـدُّرِّ حَسـناءُ
الجـودُ والبَـذْلُ والإعطـاءُ مَكْرُمـةٌ … والكَفُّ فالصفحُ ثـمَّ العَفْوُ إكْفاءُ
والعـدلُ أقربُ للتَّقْوى وفيه لهم … سِـرُّ الحياةِ وإنْعـــاشٌ وإزواءُ
وكُـنْ حليمًـا صَبـورًا ليِّنًـا دَمِثًـا … إذا جَفـاكَ رَعـاعُ النـاسِ غَوْغـاءُ
لَيِّنْ لهم جانبًا ارْفقْ بهم كَرَمًا … فشِـيْمَةُ الحُـرِّ إسْـعافٌ وإرْضـاءُ
وانْصَـحْ أخـاكَ وإنْ نَـاواكَ مُجْتَهِـدًا … مَهِّدْ لـه العُـذْرَ إن لم يَكْفِ إغْضاءُ
فَـرِّجْ لـه كُرْبَـةً واغْفِـرْ لظالِمِهـم … أَحْسِنْ إليهم وإن سَرُّوا وإن سَاؤوا
وَاسِ الأنـامَ بمـا أُوتيـتَ مـن نِعَـمٍ … وابْذُلْ لهم من كَفافِ العَيْشِ ما شَاؤوا
إذا قَـدِرْت فصِـرْ سِـلْمًا لحَرْبِهِـمُ … فالناسُ للمُحْسِنِ المُغْضي أَحِبَّـاءُ
إذا بُليـتَ بأوغــادٍ ذَوي حَنَـقٍ … لا يَجْرِمَنَّـــكَ شَـنَآنٌ وبَغْضـاءُ
والصبـرُ عنـدَ البلايـا ذُخْـرُ مَقْرُبَـةٍ … والشكرُ عندِ هُبوبِ الرُّوحِ نَعْماءُ
ثـمَّ الرِّضـى بقضـاءِ اللهِ مُبْتَهِجًـا … ولـو رَضُـوا بقضـاءِ اللهِ مـا اسْتاؤوا
العقـلُ نـورٌ ودِيـنُ اللهِ مُعْتَصَـمٌ … والعِلْـمُ مَنْزِلـةٌ للقُــرْبِ عَليـاءُ
إذا اكْتَسَيْتَ ثيـابَ العلـمِ في مـلإٍ … فأنـتَ سُـلطانُهم حاشايَ إطْـراءُ
والعلمُ عِلْمانِ عِلْمٌ يَجْتني شَـرَفًا … ومنـه مـا هـو إضْـلالٌ وإغْـواءُ

فاسْأَلْ زيادةَ علمِ اللهِ واحْيَ به … فالناسُ مَوْتى وأهْلُ العلمِ أحْياءُ
واسْلُكْ سبيلَ الهُدى ما قد عليه مَضَوْا … إذا تَشَعَّبَ آراءٌ وأهْواءُ
الحقُّ أبْلَجُ والأعلامُ قائمةٌ … والدِّينُ أرْسَخُ لا يَمحوه مَحَّاءُ
تَقْوى الإلهِ مَلاكُ الأمرِ أَجْمَعِهِ … ثمَّ القيامُ بحقِّ اللهِ إبْلاءُ
مُخُّ العبادةِ إحسانٌ هُديتَ له … ثمَّ الخُشوعُ إذا ناداهُ دَعَّاءُ
واهًا لِمَن قامَ بالأسحارِ مُكْتَئِبًا … وإذْ سجى الليلُ تَلَّاءٌ وبَكَّاءُ
واطْلُبْ لِسانًا بذكرِ اللهِ جاريةً … فيَطْمَئِنَّ به قلبٌ وأحْشاءُ
وكُنْ خَشوعًا خَضوعًا خائفًا وَجِلًا … عليكَ من سَجَداتِ الليلِ سِيماءُ
إذنْ جزاؤُكَ أنْ تَحْيى بعافيةٍ … سَليمَ صدرٍ ولا يَدنوكَ شَحْناءُ
ثمَّ الجِنانُ التي تَثْوي بها أَبَدًا … في أرضِ مِسْكٍ لها الياقوتُ حَصْباءُ
رياضُها اشْتَبَكَتْ دانَتْ فواكِهُها … واللونُ مُشْتَبِهٌ والطَّعْمُ أنْحاءُ
فيها من الحورِ أزْواجٌ مُطَهَّرَةٌ … عِينٌ لها ناظرٌ نَجْلاءُ كَحْلاءُ
على الأرائِكِ قد صُفَّتْ نمارِقُها … مِثْلَ المُلوكِ فلا هَمٌّ ولا دَاءُ
ثمَّ المزيدُ عليها ليس يَبْلُغُهُ … حَدٌّ وَعَدٌّ وحُسْبانٌ وإمْلاءُ
وفوقَ ذلكَ رِضوانٌ تَتِمُّ به … كَرامةُ اللهِ لا يُحْصيهِ إحْصاءُ
قد قُلْتُ حقًّا وخيرُ القَوْلِ أَصْدَقُهُ … والصدقُ يَعْقُبُه نُجْحٌ وإنْجاءُ

مَنْ لي بها من خِصالٍ لو هُدِيتُ لها ... لم يَغْشَني يومَ يَغشى الناسَ لأْواءُ
يارَبِّ أنتَ لها مَنْ شئتَ تَمْنَحُها ... فليس عندَكَ إمْساكٌ وإقْواءُ
أنا الفقيرُ فما لي ما ألوذُ به ... يومَ الحسابِ ولا يُغْني الأوِدّاءُ
فاغفرْ ذُنوبي وجَنِّبْني لَظَى سَقَرٍ ... وما اكْتَسَيتُ فضاقَتْ عنه غَبْراءُ
مُنَى العُصاةِ بأنْ لا يَقْنطوا فَرَجا ... فإنَّما أنا خَطَّاءٌ ورَجَّاءُ
باعِدْ خَطايايَ عنِّي بُعْدَ مَشْرِقها ... وبُعْدَ مَغْرِبِها فالنَّفْسُ وَلْهاءُ
أنتَ الكريمُ فطَهِّرْ ما اجْتَرَأْتُ به ... كما يُنَقَّى الثِّيابُ البيضُ وَسْخاءُ
وإن أخذْتَ بتعديدِ الذُّنوبِ لنا ... أخذًا ونحنُ به حَقًّا أَحِقّاءُ
فمَنْ يُخَلِّصُنا أو مَنْ يكونُ لنا ... والنفسُ هالِعَةٌ والعَينُ عَشْواءُ
والشمسُ واقفةٌ قِيدَ القَناةِ على ... رأسِ الخلائقِ والظَّلْماءُ ظَلْماءُ
والناسُ في هَرَجٍ والنَّارُ في وَهَجٍ ... والأرضُ واجِفَةٌ والرِّجْلُ بَتْراءُ
قامتْ موازينُ قِسْطٍ والكَفافُ مَعًا ... فَتُوزنُ الدرُّ لا يُجْديكَ إخفاءُ
فاليومَ لا جَنَفٌ فيه ومَظْلَمَةٌ ... كَلَّا وتُؤْخَذُ بالجَمَّاءِ قَرْناءُ
فانْظُرْ إلينا بعَيْنِ اللطفِ تَسْتُرُنا ... فأنتَ أنتَ ونَحْنُ الطينُ والماءُ
وأنتَ ذو الطَّوْلِ إذْ كانتْ منازِلُنا ... في كُلَّةِ العلمِ لا طِينٌ ولا ماءُ
شَرَّفْتَنا كَرَمًا قَلَّدْتَنا مِنَنًا ... فاضَتْ بجودِكَ أرْواحٌ وأشْلاءُ

ثمَّ اصْطَفَيْتَ عِبادًا قدْ بَعَثْتَهُمُ   للناسِ يَأتيهمُ وحيٌ وأنباءُ

فهمْ بُدورُ ظلامٍ أو شُموسُ هُدًى   وللسبيلِ إذا تَخفَى أَدِلَّاءُ

ما فازَ مَنْ لم يَكُنْ مُسْتَمْسِكًا بهمُ   ومَنْ له عن هُداهُمْ قَطُّ إِغْضاءُ

ثمَّ اصْطَفَيْتَ عليهم مَنْ خَتَمْتَ به   سِجْلَ الرِّسالةِ تَمَّتْ منكَ آلاءُ

فنحنُ أمَّةُ هذا المُصطفى شَرَفًا   المُجْتبى رِفعةً أدْناهُ إِسْراءُ

سِيماؤُنا الأمرُ بالمعروفِ مُجْتَهِدًا   إذا فَشا مُنْكَرٌ فيهم وفَحشاءُ

ونحنُ أُمَّتُهُ نحنُ الشُّهودُ على   كلِّ الوَرى وبه نحنُ الأَخِصَّاءُ

ونحنُ أمَّةُ مَنْ عَمَّمْتَ رَحْمَتَهُ   للخَلْقِ طُرًّا وقِدْمًا خُصَّ إذْلاءُ

هذا نَبِيُّكَ قدْ عمَّتْ شَفاعَتُهُ   وخُصَّ مَنْ هو مَنْكوبٌ وخَطَّاءُ

هذا نَبِيُّكَ أَوْلاهُم وأَكْثَرُهم   تَبَعًا وأوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ غَبْراءُ

رَفَعْتَ مَنْزِلَهُ ذِكْرًا وتَسْمِيَةً   شُقَّتْ له منك أعلامٌ وأسماءُ

صلَّى الإلهُ عليه ما سَرى قَمَرٌ   والنجمُ طالعةٌ والشمسُ بَيْضاءُ

أنتَ الذي قُلْتَ لا يُخزى ومَنْ مَعَهُ   ولِي بِمَنْ معه رَحْمٌ وإدْلاءُ

ولا أقولُ بأنّي مُقْتَفٍ لَهُمُ   لكنْ أُحِبُّهمُ والحُبُّ مِدْلاءُ

لا تُخزِ يا ربِّ فالأسبابُ مُحْكَمَةٌ   والرَّحْمُ مَبلولةٌ والكَفُّ هَطْلاءُ

٧١ وإذْ مَنَنْتَ علينا واخْتَبَيْتَ به   فكيف تُخزي ولا يُرضيكَ إخزاءُ

أبياتٌ

في فضلِ المدينةِ الطيبةِ المباركةِ الميمونةِ، وبعضِ مَناقِبِها، ونُبَذٍ من شرَفِ أهلِها ومنزلَتِهم عندَ اللهِ تعالى لجوارِ حبيبِه ونبيِّهِ رحمةِ العالَمينَ ﷺ، والتشوُّقِ والحنينِ إليها.

وإنِّي لَأَرْجُو أن تكونَ هذهِ الأبياتُ ذريعةً لنَجاتي، ووسيلةً إلى جوارِ رحمتِه ﷺ.

اللهمَّ اجْعَلْني في زُمْرةٍ من تَشْمَلُهم شفاعتُه ﷺ ويُحْشَرُ في أمَّتِهِ الغُرِّ الْمُحَجَّلينَ، آمينَ يارَبَّ العَالَمينَ .

[البحرِ البسيطِ]

١ سَقى حِماها من الوَسْمِيِّ هطَّالُ ... طابتْ بطيبةَ أسحارٌ وآصالُ
سرُّ الوجودِ وكنزُ الخيرِ أجمَعِهِ ... مَثوى الحبيبِ على الكَوْنَيْنِ مِفْضالُ
تَثْوي الهدايةُ فيها لا تَزالُ بها ... ويَأْرِزُ الدِّينُ إذْ بالدِّينِ يحتالُ
اللهُ شرَّفها بالمُصطفى شَرفًا ... وحفَّها منه إكرامٌ وإجْلالُ
أيَّامَ يَغْدو بها الرُّوحُ الأمينُ له ... على مَشاهِدِها طَوْفٌ وتَجْوالُ

فِي كُــلِّ يـومٍ رسـالاتٌ يُبَلِّغُهـا ... إلـى الحبيـبِ وتعلُـو منه أخـوالُ
اللهُ صَيَّرهـا بالمُصطفـى حَرَمًـا ... فليـسَ يُعْضَـدُ أشجارٌ وأَجْـذالُ
ولا يُنَفَّـرُ صيـدٌ لاذَ تُرْبَتَهـا ... ولا يُـرَوِّعُ قَطَّـانٌ ونَـزَّالُ
حُرَّاسُـها مَلَـكٌ في كُـلِّ نائبـةٍ ... فليـس يَدْخُلُهـا للمكـرِ دَجَّـالُ
ومَـنْ أخـافَ لهـا أهْـلًا وأَفْزَعَهُـم ... يَـذوبُ كالمِلْـحِ لا يُنْجيهِ إجْفـالُ
ومَـنْ تَصَبَّـرَ في لأوائِهـا رَغَبًـا ... كانَ الشَـفيعَ لـه إذْ نـابَ أَهْـوالُ
وأوَّلُ الحشرِ منها حيثُ يَقْدُمُهم ... لأوَّلِ الخَلْـقِ أَغْـلاهُ لِيَنْالُـوا
تلكَ المدينةُ إذ لم تَـدْرِ ما بَلَغتْ ... مـن الفَخـارِ ومـا رَقَّـتْ بـه الحالُ
واللهِ واللهِ مـا للمُصطفـى شَـبَهٌ ... ولا لِمَسْـكَنِهِ في الأرضِ تِمْثـالُ
إن كانَ فضـلُ بـلادٍ فضـلَ ساكِنِها ... فمـا سِواها مـن الأمصارِ أَطْـلالُ
ففـي حِماهـا قِـوامُ الخَلْـقِ كلِّهِـمِ ... وفي رُباهـا رِيـاضُ الخُلْـدِ مِحْلالُ
ولا يُقـاسُ بهـا مِصْـرٌ ولا بَلَـدٌ ... ولا سَـماءٌ إذا مـا قِيـسَ أَمْثـالُ
تَسـري إليهـا وُفـودٌ سيرُها عَنَـتٌ ... وللنَّجائـبُ تَبْغيـلٌ وإِرْقـالُ
من كلِّ صَبٍّ حَنينُ الوَجْدِ يَزْجُرُهُ ... وقائـدُ البِشْـرِ يَهديـهِ وآمـالُ
واللطفُ يَهْتِفُ لا تَلْوُوا على أَحَدٍ ... سِـيروا الهُوَيْنـى فلِلتَّبْشيرِ إقْبـالُ
إذا بَـدَتْ قُبَّـةٌ خَضْـراءُ مُشْـرِقَةٌ ... فليـسَ يَبْقـى لَهُـمْ صَبْـرٌ ولا بـالُ

يُهَرْوِلُونَ إليها هَائِمِينَ بها وهُمْ على ذا حُفاةُ الرِّجْلِ أَرْسالُ
شَوْقًا إليها وهَيْمانًا لِرُؤْيَتِها ودَمعةُ الوَجْدِ لا تَرْقا ولا تَألُو
يا مُهجةَ النَّفسِ لا تُبقِي حُشاشَتَها تَلْقَيْنَ رُوحًا على الأحياءِ يَختالُ
يا أهلَ طيبةَ طِبْتم طابَ غُدوَتُكم وطابَ رَوْحَتُكم إذْ طابَ أنْزالُ
فأنتمُ جِيرةٌ للمُصطفى سَقَبًا وأنتمُ في حِمَى الزَّهراءِ حُلَّالُ
ونازِحُ الدارِ حِلْفُ السَّهرِ مُكْتَئِبٌ مُثَقَّلُ الظَّهْرِ للأعباءِ حَمَّالُ
يَرْنُو إليكم بعينٍ مِلْؤُها نَدَمٌ وحَسْرَةٌ في الحشا والقَلْبِ تَجْتالُ
جُودوا على مُذْنِبٍ لم تَبْقَ حِيلَتُهُ يُخِفُّ سَيْرًا ولا يُعْيِيهِ أَثْقالُ
يَمْشي على الوجهِ والأقدامُ حافيةٌ ٣٠ وغُلَّةُ الصَّدْرِ لا تَروى وبَلْبالُ
ويا مُنى النَّفسِ إمَّا كنتِ فائزةً فيا لَهُ من نَوالٍ بالَّذي نالُوا
وكيفَ لا أرتجي والأرضُ راحمةٌ ٣٢ والذَّنْبُ مُسْتَشْفِعٌ والعَفْوُ مِنْوالُ

في حنين الجذع

[البحرِ الوافرِ]

نمَــا في القلـبِ والأحشـاءِ دَاءُ   رَسـيسٌ ليـس لـي منـه شِـفاءُ
أَمـوتُ تَحَسُّـرًا وأَذوبُ حُزْنًـا   ولا يُغنـي الصَّبـاحُ ولا المَسـاءُ
ومـا دَائـي غَـرامٌ بالغَـواني   ولا في وَصْلِهِـنَّ لـي اغْتنـاءُ
ودَائـي أَنَّـي في غيـرِ داءٍ   خَلِـيُّ القلـبِ ليـس بـه عَنـاءُ
ولـو كـانَ السَّـعادةُ ساعَفَتْني   وأَدْركنـي برحمتِـهِ الهَنـاءُ
لَكُنْـتُ اليـومَ أَسْعدَ مِنْ سَعيدٍ   وقَلْبي للغـرامِ بـه نَمـاءُ
وكُنـتُ أَحِـنُّ وَجْـدًا واشْـتياقًا   حَنيـنَ الجِـذْعِ ليـس لـه سَـلاءُ
فهـلَّا إِذْ رأيـتَ الجِـذْعَ يَبْكـي   ويَجـري مِـن مآقيـهِ الدِّمـاءُ
بَكيـتَ تَحَسُّـرًا وبَكَيْـتَ وَجْـدًا   فَتغشـاكَ الإنابـةُ واصْطفـاءُ
فيـا جِـذْعَ النَّخيـلِ هُنـاكَ وَجْـدٌ   ودامَ لـكَ الصَّبابـةُ والبُكـاءُ
وإِنِّـي في حيـاةِ النَّفْـسِ مَيْـتٌ   وذاكَ لـه حيـاةٌ والبَقـاءُ
عَـرانِي مـن سِـقامِ النَّفْـسِ دَاءٌ   وحُـبُّ المُصطفى نِعْـمَ الـدواءُ

وذِكْرُ اللهِ يُحْيِي كـلَّ قلـبٍ — حياةً ليـسَ يَعْقِبُهـا فَنـاءُ
إذا قَلْبي خَلا عن ذكرِ ربِّي — حياتِي والمَمَاتُ همـا سَواءُ
وكيـفَ يُعَـدُّ داءُ الحُبِّ داءً — وداءُ الحـبِّ يَفْديـهِ الشِّفاءُ
وذكـرُ اللهِ رَوْحُ كـلِّ رُوْحٍ — ورَيْحـانٌ يَفـوحُ بـه الفَضـاءُ
ومَـنْ لـم يَشْـتَغِلْ يومًـا بذكـرٍ — لـه وجـهٌ وليـس بـه حَيـاءُ
إذا كـان القلـوبُ بـلا حيـاةٍ — فمـا يُجْـدي ضِمـادٌ أو طِـلاءُ
إذا أَرْسـى بهـا بَـرْدٌ شـديدٌ — فمـا يُغنـي الجِبـابُ ولا الفِـراءُ
٢٠ وذكـرُ اللهِ يُنْبِـتُ كـلَّ خيـرٍ — كمـا بالمـاء يَهْتَـزُّ الكَـلاءُ
هَنيئًـا للجـذوعِ وأنـتَ منهـا — وفَخـرًا مـا لمَفْخَرِهـا انْتهـاءُ
فيـا جِـذعَ النَّخيـلِ اشْـفَعْ مُعَنًّـى — بـداءِ العُـدْمِ يُدْرِكُـهُ الحَبـاءُ
ويـا جِـذعَ النَّخيـلِ هَنـاكَ ضَـمٌّ — مِـن الصَّـدْرِ المُطَهَّـرِ واحْتـواءُ
ويـا جِـذعَ النَّخيـلِ هَنـاكَ مَجْـدٌ — وفَخْـرٌ وارْتفـاعٌ واعْتـلاءُ
بحـبِّ المُصطفى تُجْلى صُـدورٌ — وتَنْكَشِـفُ المَعاصـي والصَّـداءُ
تُزَكَّـى ثـمَّ تُجْلَـى ثـمَّ تُحْشـى — بَشاشَـتَـهُ ويَـزدادُ البَهـاءُ
بـه تَرقـى النُّفـوسُ إلـى المَعالـي — ويُنْتَكَـسـى فَنـاءٌ والبقـاءُ
٢٨ إذا طـاوَعْتُـه فيمـا أتـاهُ — فمـا تَدْنـو لِمَنْزِلَتـي سَمـاءُ

أيضًا في حنين الجذع

[من البحر الوافرِ]

حَنينٌ في الجُذوعِ وأنتَ سَالي ١ فما لَكَ في الهَوى حَظٌّ ومَا لي
أَتَسْلوا لا يَهِيجُكَ وَجْدُ صَبٍّ حَنينَ الجِذْعِ تَسْمَعُ لا تُبالِي
فهَلَّا مُتَّ وَجْدًا واشْتياقًا وأَعْلَنَ بالبُكا جِذْعُ المَعالي
وهَلَّا مُتَّ إذْ عايَنْتَ وَجْدًا من الجِذْعِ الْمُجَلَّلِ بالجَلالِ
وهَلَّا مُتَّ أو أَصْبحتَ ذَرًّا من الذَّرَّاتِ في كُثُبِ الرِّمالِ
وهَلَّا مُتَّ يا قَلْبًا تَسَلَّى ولم تُقْلِقْهُ رَوْعاتُ الْجَمالِ
وهَلَّا مُتَّ إذْ لم تَدْرِ وَجْدًا ولم تَدْرِ الفِراقَ من الوِصالِ
وجِذْعُ النَّخلِ خَيرٌ من رِجالٍ لهم قَلْبٌ من الخيراتِ خَالِ
وحَنَّ لَدى المُصابِ له خُوارٌ ٩ كعَشْراءِ تَحِنُّ إلى الفِصالِ

قصيدةٌ في عُروجِ الإسلامِ ونُزولِهِ

[من البحرِ الوافرِ]

أَلا مـــا للدَّوائـــرِ لا تَـــزالُ　　　ومـــا للنَّـــازلاتِ لهـــا انْهِمـــالُ

وهـــل للنَّـــاس يُســـرٌ بعـــدَ عُســـرٍ　　　أمِ الدُّنيـــا يَزيـــدُ بهـــا الخَبـــالُ

وهـــل عَيْـــشٌ يَمُـــرُّ بِمُسْـــتَرَدٍّ　　　وهـــل شِـــيَمُ اللَّيالـــي تُســـتحالُ

تَذَكَّـــرْتُ الزمـــانَ زمـــانَ لَهْـــوٍ　　　وعَيْشًـــا ناعِمًـــا فيـــه الوِصـــالُ

وأيَّـــامًـــا لنـــا غُـــرًّا طِـــوالًا　　　لهـــا في الدهـــرِ آثـــارٌ وقَـــالُ

تَهُـــبُّ بهـــا رَوائـــحُ مـــن حبيـــبٍ　　　يُديـــمُ الوَصْـــلَ ليـــس بـــه اخْتِـــلالُ

أَزَجَّ الحَـــاجِبَيْنِ أَثيـــثَ شَـــعْرٍ　　　يُزَيِّـــنُ مَتْنَـــهُ فَـــرْعٌ طِـــوالُ

بوجـــهٍ يَحْجُـــزُ الأبْصـــارَ عنـــه　　　ويَخْجَـــلُ عنـــدَ رُؤْيَتِـــهِ الهِـــلالُ

إذا هـــو يَكْشِـــفُ الأَسْـــتارَ يومًـــا　　　يُخَيَّـــلُ أنَّـــه بَـــدْرٌ كَمـــالُ

يُناوِلُنـــي رُضابًـــا مِـــن عَـــذابٍ　　　كـــأنَّ مَذاقَـــهُ عَسَـــلٌ حَـــلالُ

وصَحْبًـــا كالثَّواقـــبِ زاهـــراتٍ　　　عليهـــم مـــن مَوَدَّتِهـــم ظِـــلالُ

أَروحُ إليهـمُ دَهْــرًا وأغْــدو　　　عليهـم لا يَشوبُهـــمُ مَــلالُ

ولكـنَّ النَّوائــبَ حِيـنَ تَهْمـي　　　كمِثْـلِ الوَبْـلِ تَسْـبِقُه الطِّـلالُ

يُغـادرْنَ القلــوبَ بـلا سُـرورٍ　　　ويَسْـلُبْنَ الحيـــاةَ ولا مَطـــالُ

ويَتْرُكْـــنَ المَغـــاني مُقْفـراتٍ　　　تُسَـفِّعُها النَّعامَـــى والشَّـمالُ

فكـم سِـرْبٍ عَـذارَاى غانيـاتٍ　　　عليهــنَّ البَراقـــعُ والحِجـــالُ

بِجِيـدٍ كالظِّبـــاء وعَيْـــنُ عِيـنٍ　　　يُخامرُهـا مـع الحُسـنِ الـدَّلالُ

تَرَكْـنَ جُيودَهـا عُطْـلًا وغَالَـتْ　　　مَحاسِـنَها الطَّـوارِقُ والحِـوالُ

وكـم مـن بـازلٍ جَلْـدٍ وَضـيءٍ　　　لـه حَسَـبٌ نُظّـــار والآنـالُ

غَـدَرْنَ بـه فصـارَ أخَـا فِراشٍ　　　تُنكِّـرُهُ المَحافِـلُ والنِّزالُ

ومـا الدُّنيـا إذا حَفَّتْـكَ إلا　　　خَبـالٌ أو وَبـالٌ أو نكـالُ

تَغُـرُّكَ حيـنَ تَنْظُرُهـا بَعيـدًا　　　كمـا قـدْ غَـرَّ بالبيـداءِ آلُ

إذا مـا جئـتَ ظَمْآنًـا لِتُسْـقى　　　سَـقَتْكَ صَواعِقًـا فيهـا الوَبـالُ

فمـا فيهـا لِمَطْلـوبٍ مَقَـرٌّ　　　ولا فيهـا لِمَظْلـومٍ مَقـالُ

كـذاك النـاسُ طَـوْرًا بعـدَ طَـوْرٍ　　　لهـم في العـزِّ حِـلٌّ وارْتحـالُ

بـدَا الإسـلامُ في الدُّنيـا غَريبًـا　　　وليـس لـه حِـواءٌ أو مُحـالُ

بمكــةَ ذاتِ أمـنٍ واحتـرامٍ　　　أُعِـدَّ لـه الحَواضِـنُ والحِجـالُ

نَشا فيهـا رَبيبًا كـان يُرجى ... ويَرجـو أن يكـونَ بهـا ثِمـالُ
فما حنُّوا إليـه سوى قليلٍ ... وصالـوا صَوْلـةً ثـمَّ اسْـتَطالُوا
نَفَوْا عنها وأَجْلَـوْا عـن حِماها ... ضِعافَ المُسْلمينَ ولـم يُبالُـوا
فآوَتْـهُ المدينـةُ واحْتَوَتْـهُ ... وقـامَ لنصرِه فيهـا رجـالُ
رجـالٌ ليـس تُلهيهـمْ بُيـوعٌ ... ولا عـن ذكـرِ ربِّهـمُ كِلالُ
وكـان لهـم دَوِيٌّ في اللَّيالـي ... دَوِيَّ النَّحـلِ تَجْمعُهـا ثِـلالُ
حَمَـوْهُ رَافِعِيـنَ لـه لِـواءً ... تَضـاءَلَ دُونـهُ السَّبْعُ الطِّـوالُ
ومكـةَ طهَّروا عـن رِجْسِ شِرْكٍ ... فـآبَ الحـالُ وانْتَظَمُ الإيـالُ
وكـان لهـم بهـا فَتْـحٌ مُبيـنٌ ... ولـم يـكُ فيـه للحـربِ اشْـتعالُ
وآمـنَ مَـن بهـا سِـلْمًا وطَوْعًـا ... تَسـاوى القـومُ فيـه والبِجـالُ
وعَـمَّ قبائـلَ الأعْـرابِ دِيـنٌ ... هـو الإسلامُ يـا نِعـمَ المـآلُ
فصـار لـه عُلُـوٌّ وارْتفـاعٌ ... تَخِـرُّ لـه العَلالـي والقِـلالُ
إذا جالَـتْ خُيـولُ اللهِ يومًـا ... تَـذِلُّ لهـا السَّباسِـبُ والجِبـالُ
وأَوْرَثَنـا الإلـهُ دِيـارَ قـومٍ ... طَغَـوْا كُفْـرًا وفي الآفـاقِ جالُـوا
ونَجْبـي الأرضَ في شـرقٍ وغَـرْبٍ ... وأرضُ المَارِدِيـنَ لنـا مَجـالُ
وتَـرْدي في بـلادهـم جِيـادٌ ... لهـا في دارِ مُلكهـمُ صَهـالُ

إذا سِرْنـا علـى آثـارِ قـومٍ ... تَساقَطَـتِ العَمائمُ والنِّعـالُ
تَفِـرُّ إذا رَأَتْنـا مـن بعيـدٍ ... كـأنَّهـم نَعَـامٌ أو رِئـالُ
وذُدْنـا بالأسـنَّةِ عـن حِمـاهُ ... وتَفْـري الهَـامَ مُرْهَفَـةٌ صِقـالُ
نُـدَمِّرُهـم إذا مالُـوا علينـا ... ونُجْحِفُهـم إذا حمـيَ القِتـالُ
نُثَقِّـفُ بالرِّمـاحِ الصُّـمِّ زَيْغًـا ... ونَرْدَعُهـم إذا للغـيِّ مالُـوا
فمـا لطريدِهـم منَّـا مَعـاذٌ ... ولا لجريحِهِـمْ يُرْجـى اندمـالُ
وقَيْصَـرُ حَـدُّهُ لَمَّـا فَلَلْنـا ... مَضـى فـلا تُشانِعُـهُ النِّبـالُ
وكـان علـى يقيـنٍ غيـرِ شـكٍّ ... فـكانَ لـه الشـقاوةُ والوَبـالُ
وأَوْغَلْنـا الخُيـولَ عُبـابَ بَحْـرٍ ... فغِيـضَ المـاءُ وارْتفـعَ التِّـلالُ
تُسـايرُ في الأعنَّـةِ مُرْخَيـاتٍ ... وللفُرْسـانِ تَسْبيحًا مَقـالُ
نزلْنـا قَصْـرَ كِسْـرى في مَقـامٍ ... تُقيـمُ بـه الأكـاسرةُ المُبـالُ
إذا صِحْنـا علـى الآجـامِ يَوْمًـا ... فإنَّـا نازِلـون ولا ارْتحـالُ
أَجـابَتْنـا بطَـوْعٍ وانْقيـادٍ ... ولـم يُخْـشَ التَّوَثُّـبُ والصِّيـالُ
يَروعُـك[1] مـا رَأَيْـتَ إذا تَراهـا ... أُسـودُ الغـابِ تَرْحـلُ والشِّبـالُ

(١) يهولك. (الناظم).

وتَخرُجُ مِن أكِنَّتِها[1] ذِئابٌ ... على أكْتافِها الزُّغْبُ الضِّئالُ
وتَتْبَعُها العقاربُ والأفاعي ... وتَسْتَبِقُ الثَّعالبُ والشِّغالُ
أقَمْنا بَلدةً طابَتْ رُباها ... ولم يُؤْذَ الخنافسُ والنِّمالُ
وأسْلَمَ إذْ رأى خلقٌ كثيرٌ ... وأذْعنَ للهدى قَومٌ هِمالُ
وبيتُ القُدْسِ قدَّسْنا ثَراهُ ... عن التَّثْليثِ فانْكشفَ الضَّلالُ
وأجْرَيْنا المَراكبَ في البَراري ... تَرى الكُثبانَ يَمْخُرُها الفِئالُ
وقُسْطَنْطِينةً لَمّا فَتَحْنا ... جَلا عنها الأساقِفةُ الخِسالُ
وعُمِّرَتِ الجَوامعُ والمُصَلّى ... وأُعْلِيَتِ المَنائرُ والهِلالُ
وكُنّا قبلُ نَعْتَقِبُ المَعالي ... وكُنّا لا نُضامُ ولا نُذالُ
ضَرَبْنا الجِزيَ قَسْرًا واعْتلاءً ... عليهم صاغِرينَ ولا اعْتلالُ
وما اسْتعصى علينا من عَويصٍ ... ولا سَدَّ القِراعُ ولا النِّضالُ
تُقَرِّبُنا وإيّاهم بلادٌ ... وتُبْعِدُهم وإيّانا خِلالُ
أرَيْنا الناسَ نَهْجًا مُسْتقيمًا ... قُويمًا لا يُزاحِمُه ضَلالُ
لنا التوحيدُ والإسلامُ دِينٌ ... وللتثليثِ بينَهمُ انْتحالُ

(١) مكانتها. (الناظم).

مَلَأْنــا الأرضَ عَــدْلًا وانتصافًــا ... نُيــوبُ الليــثِ تَنْزِعُهــا السِّخالُ

ومَهَّدْنــا بِســاطَ الأَمْــنِ حتــى ... يُزاحِـمُ عندَنــا الذئــبَ الغَــزالُ

تَسـيرُ الظَّعْــنُ لا تَخْشــى ســواهُ ... ولــم يَفْلَــقْ لهــا بالذُّعْــرِ بــالُ

حَمَيْناهُــم وآوَيْنـــا طَريـــدًا ... ورَبَّيْنــا الــوَرى وهــمُ عِيــالُ

ودُسْــنا الأرضَ فانْثالَــتْ إلينــا ... كنـــوزٌ لا يُعَـــدُّ لهــا مِثــالُ

وَفَيْنــا القــولَ لَمَّـــا أن وَعَدْنــا ... وعَهْــدُ العبـــدِ حُلْــمٌ لا يَــزالُ

وَعَيْنــا العِلْــمَ فانفجــرتْ علينــا ... عُيـــونٌ ماؤُهـــا عَــذْبٌ زُلالُ

وَداوَمْنــا السُّــرى بَــرًّا وبَحْــرًا ... لِنَيْــلِ العلــمِ إذْ شُــدَّ الرِّحــالُ

وأَنْزَلْنــا العُلــومَ مــن الثُّرَيَّـــا ... عُلـــومًا لا تُـــرامُ ولا تُنــالُ

ونُــرْوي كلَّ ذي جَــدْبٍ ومَحْــلٍ ... كمــا تُــرْوي الرُّبــى سُـحُبٌ ثِقــالُ

وتَقْــوى اللهِ كـــانَ مِــلاكَ أمــرٍ ... بــه تَمْتــازُ أو تُرْضــى الفِعــالُ

ومــا كُنَّـــا نخــافُ ســواهُ شَــيْئًا ... فَسُــخِّرَتِ الضَّراغِــمُ والجِمــالُ

تُبَصْبِـصُ إذْ تَرانـــا في غِيــاضٍ ... كمــا تَحْنــو إلــى الأُمِّ الفِصــالُ

وتَهْدينـــا الطريــقَ إذا ضَلَلْنـــا ... وتَحْرُسُــنا إذا ارْتَعَــدَ الوِجــالُ

ونحــنُ عَبيــدُ مَــنْ قــد ســادَ دِينًــا ... وإيقــانًـــا فسَيِّدُنـــا بــلالُ

كــذا كُنَّـا مُلوكًـــا في نهــارٍ ... ورُهْبانًـــا إذا انْطفـــأَ الذُّبــالُ

فعادَ كما بَدَا لَمَّا انقَلَبْنا ... وأُلْنا بالهوى عُمْيًا وآلُوا
أَضَعْنا الدِّينَ لَمَّا أن بَطِرْنا ... وغَرَّتْنا الأمانِي والمُحالُ
وضَيَّعْنا الشريعةَ فافْتُضِحْنا ... وصِرْنا صاغِرِينَ ولا نُدالُ
وخَلَّفْنا أُصولَ الدِّينِ زَهْوًا ... وَراءَ الظَّهْرِ فانْحلَّ العِقالُ
رَكِبْنا ما نُهينا وانْتَهَكْنا ... مَحارِمَهُ وذا داءٌ عُضالُ
ولم نَبْرَحْ من الحاناتِ سُكْرًا ... وحُبِّبَتِ المَبازِلُ والبُزالُ
ولم تَزَلِ المعابدُ مُخْرَباتٍ ... ولم تَزَلِ المَباني تُسْتطالُ
ظُلِمْنا إذْ ظَلَمْنا واسْتُلِبْنا ... وما كِلْنا لهم فَبِهِ نُكالُ
سُلِبْنا المُلْكَ والأموالَ طُرًّا ... وفيما بينَنا نحنُ الأُكالُ
وصِرْنا بعدَ أن كُنَّا مُلوكًا ... عَبيدًا نُستهانُ ولا تُشالُ
ودَاسَتْنا بأرْجُلِها فِئامٌ ... مَلَكْناهم فيا بِئْسَ الزَّوالُ
أذاقُونا الهَوانَ وجَرَّعونا ... شَرابًا مَجَّهُ عَيْفًا بِغالُ
تَدورُ رَحاهُمُ دَوْرًا سَريعًا ... فتَعْرُكنا ونحنُ لها ثِفالُ
سَقَوْنا من كُؤوسِ الموتِ صِرْفًا ... فنشربُ مُكْرَهِينَ ولا نُقالُ
وإن تُبْنا إليه يَتُبْ علينا ... ويَكْشِفْ ضُرَّنا المِنَنُ الجِزالُ
ولا تَقْنَطْ فإنَّ اليَأْسَ كُفْرٌ ... وإنَّ الحربَ في الدُّنيا سِجالُ

ووَعْدُ اللهِ حقٌّ ليس خُلْفًا   وما فيه لمُرْتابٍ مَقَالُ

سَيَرْفعُ ذِكْرَهُ عن وجهِ أرضٍ   خِيارُ الناسِ يَفْنى والجَمالُ

ويَبقى عندَ وَقْعَتِها عليها   شِرارُ الخَلْقِ والنَّذْلُ الرُّذالُ

إلهَ الخلقِ يا مَوْلى المَوالي   ومَنْ بعطائِه يُرجى النَّوالُ

أَتَيْنا مُلْتَجِينَ إليكَ لمَّا   تَقَطَّعَتِ الوَسائلُ والحِبالُ

بجاهِ نبيِّكَ الهادي أَغِثْنا   وأَدْرِكْ قَبْلَ أنْ يَقَعَ النَّكالُ

ويَفْنى الناسُ والأحوالُ طُرًّا   ويَبْقى وَجْهُ ربِّك وَالجَلالُ

قصيدةٌ في شأنِ دارِ الحديثِ بديُوبَنْد
وبيانِ رفعتِها ومنزلتِها وشرفِها عند الله تعالى

[البحرِ الطويلِ]

أَشاقَكَ من دار الحديثِ قُصورُها　　تَـراءَى بهـا دارُ النعيـمِ وحُورُهـا

نعـمْ إنَّهـا دارٌ قـدِ احْتـوتِ المُنَـى　　لطيبـةَ فيهـا طِيبُهـــا وسُـرورُها

إذا قَرَّبَـتْ فَرْعًـا بأصـلِ وَسـيلةٍ　　فمـا بعـدَ أرضٍ سَـهْلُها ووُعُورُهـا

فيـا طِيـبَ أنفاسٍ لطيبـةَ أَشْـرَقَتْ　　بهـا الأرضُ أنـوارًا فتـمَّ حُبورُهـا

فأَحْيتْ قُلوبًـا قـد أُمِيتَـتْ بجَهْلِهـا　　وعـادَتْ رِياضًـا مُونقـاتٍ دُثورُهـا

تَبَسَّمتِ الأزهـارُ من طِيبِ نَشْـرِها　　وفـاحَ ذكيًّـا مِسْـكُها وعَبيرُهـا

وغَـرَّدَتِ الأطيـارُ فـوقَ غُصونِهـا　　تُجاوِبُ وَجْـدًا لا يَـزالُ صَفيرُهـا

أضـاءَتْ لها الألـوانَ وانجابَ غَيُّها　　وزَالَـتْ عَماياتُ الهَوى وسُتورُها

وسارتْ تجوبُ الأرضَ لَمعاتُ ضَوئِها　　مَسيرةَ نـورِ الشمسِ فيها مَسيرُها

أَحاديـثُ أحـكامٍ وكَنـزُ حَقائـقٍ　　وتَفسيرُ آيٍ لُبُّهـــا وقُشـورُها

تَلَقَّى رِجالٌ عن رجالٍ مُعَنْعَنًا ... طَرِيًّا نَقِيًّا بَدْؤُها ومَصيرُها
وقامُوا يَشدُّون الرِّحالَ لجَمْعِها ... بضبطٍ وإتقانٍ فَسُدَّتْ ثُغورُها
يُحامونها عن ريبِ كلِّ مُلَبِّسٍ ... بوضعٍ وكِذْبٍ لا يُشابُ نَميرُها
وقامَ رجالٌ يَلْقُطون فَرائِدًا ... يَسيرٌ لَدَيْهم سَخْلُها ومَريرُها
يَخوضونَها مُسْتَبْصرينَ لِغَوْرِها ... وأَعيا رِجالًا آخَرينَ عُبورُها
فيا نَضَّرَ اللهُ امرءًا شَدَّ أَزْرَهُ ... وَعَاها وأدَّاها تمامًا وُفورُها
فَرُبَّ رُواةٍ غيرِ حاملِ فِقْهِهَا ... إلى مَن يَراها غيرَ مَلْدٍ صُخورُها
فهَاتيكَ دارٌ للحديثِ وأَهْلِهِ ... بها تَلْتقي أنهارُها وبُحورُها
تَرى جِيلَ مَنْ يَهوى الحديثَ يَزورُها ... يَروقُكَ منهم دائِبينَ بُكورُها
تَراهم أَحاطوا بالشُّيوخِ كأَنَّهم ... نُجومُ سماءٍ بينَهُنَّ بُدورُها
يَفيضون دُرًّا من خزائنِ عِلْمِهِمْ ... ففاضَ عليهم سَمْطُها ونَثيرُها
يَبُثُّون عِلْمًا يَبْهَرُ العقلَ زَخْرُه ... وأَكْثَرُ منه ما حَوَتْه صدورُها
يَسودُهُمْ شيخٌ كأَنَّ جبينَهُ ... عليه إياةُ الشمسِ يَسقيهِ نورُها
إمامٌ هُمامٌ مُتْقِنٌ ثم حُجَّةٌ ... إليه تُشَدُّ اليَعْمَلاتُ وكُورُها
يَذُبُّ عن الإسلام تَجري بيُمْنِه ... رَحى المِلَّةِ البيضاءِ فهْوَ يُديرُها
أَصاخُوا له مُسْتَنْصِتِينَ كأَنَّهم ... عليهم طُيورٌ لا تُراعُ وُكُورُها

إذا جرتِ الأقلامُ عَدْوًا لوجْهِهَا ... يُسَلِّيكَ عن طِيبِ الغِناءِ صَرِيرُها

بقاسِمِها[1] يُعطي الإلهُ كرامةً ... ومُرْشِدِها القُطْبِ الرَّشيدِ[2] يُجيرُها

فيا دارُ دارًا للحديثِ وأهلِهِ ... نَعِمْتِ ومَنْ يَغشاكِ يَغْشاهُ نُورُها

ودامَ على الأيَّامِ بحرُكِ فائِضًا ... وسُحْبُكِ هَطَّالًا مُغيثًا دَرورُها

ورَوْضُكِ مَمْطورًا وقَطْفُكِ دانيًا ... ومَغْناكِ مَوْفورًا عليه سَميرُها

رَعيلٌ لأهلِ العلمِ بعدَ رَعيلِهِمْ ... فُرادى ومَثْنى عِيرُها ونَفيرُها

---

(١) أي: حجّة الإسلام الإمام محمد قاسم النانوتوي رحمه الله، وُلد في سنة ١٢٤٨هـ في مدينة نانوته، بدأ التعليم على يد الشيخ محمد نواز السهارنفوري، ثم سافر إلى دهلي، ودرس عند الشيخ مولانا مملوك العلي النانوتوي، ثم لازم الشيخ الشاه عبد الغني الدهلوي وقرأ عليه كتُب الحديث الشريف، وله الإجازة في السلوك من الإمام حاجي إمداد الله المهاجر المكي. كان الإمام من عباقرة الفكر الإسلامي وأحد أساطين النهضة الإسلامية في الهند، له جهود كثيرة بارزة، من أبرزها تأسيس الجامعة الإسلامية دار العلوم ديوبند العظيمة في ١٥ من محرم الحرام سنة ١٢٨٣هـ. تُوفِّي في ٤ من جمادى الأولى سنة ١٢٩٧هـ عن عمر ٤٩ سنة، ودُفن في المقبرة القاسمية. له مُؤلَّفات عديدة مفيدة، تدلُّ على علوِّ كعبه وسموِّ مكانته، في جميع العلوم والفنون. وفي الحقيقة المترجم غنيٌّ عن التعريف.

(٢) أي: الإمام الرباني الفقيه العلامة المُفتي رشيد أحمد الگنگوهي رحمه الله، وُلد في سنة ١٢٤٤هـ وهو من أصحاب الإمام محمد قاسم النانوتوي، ورفيقه منذ أيام الدراسة وما بعدها. درس عند الشيخ مولانا مملوك العلي والشيخ عبد الغني الدَّهْلوي، وله خدمات جليلة في تأسيس دار العلوم ديوبند. تُوفِّي في سنة ١٣٢٣هـ ودُفن في بلدته گنگوه. له مُؤلَّفات عديدة منها: «هداية الشيعة»، و«إمداد السلوك»، و«زبدة المناسك»، و«هداية المعتدي»، و«سبيل الرشاد»، و«تصفية القلوب»، وأيضًا جُمعتْ إفاداته على «صحيح البخاري» باسم «لامع الدراري»، وعلى «صحيح مسلم» باسم «الحل المفهم»، وعلى «جامع الترمذي» باسم «الكوكب الدري»، وعلى «سنن النسائي» باسم «الفيض السمائي».

يَزُجُّـون في طـيِّ الفَيـافي مَطِيَّهـم　　إليكِ سُراهُمْ في الدُّجى ومُرورُها

بجـاهِ رسـول الله عـزَّ مَكانُهـا　　عزيـزٌ مُحامِيهـا كَريـمٌ عَشـيرُها

عليـهِ صـلاةُ اللهِ مـا ذرَّ شـارقٌ　　ودَرَّ مِن السُّحْب الغَوادي دَرورُها

فيـا ليتَ نَفْسي في حِماهَا حَياتُها　　وفي مَـنْ حَمَوْهَـا بَعْثُهـا ونُشـورُها

٣٧ وقُلْـتُ بـرأسِ البِشْـرِ يـومَ افْتِتاحِهـا　　وَثيقًـا مَعاليهـا أنيقًـا قُصورُهـا

الجزءُ الثاني

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قصيدةٌ في شأنِ شيخِ الهندِ، إمامِ المحدِّثين، ورأسِ العُلماءِ الراسخين، أستاذِ الأساتذةِ، صدرِ المدرِّسينَ في دارِ العلومِ الدُّيُوبَنْدِيةِ، سيِّدِنا وشيخِنا مولانا محمود حسن، قدَّسَ اللهُ سِرَّه[1]

كتبتُها حينَ قُدومِه من مالطه بعدَ مُكْثِه فيها أسيرًا زُهاءَ أربعِ سنينَ، وأشرتُ فيها إلى بعضِ أوصافِه وكمالاتِه الخاصَّةِ به الَّتي امتازَ بها على أهلِ عصرِه، وأشرتُ فيها إلى وفاةِ رفيقِه المولويِّ نصرة حسين رحمه الله، وقدِمَ رحمه الله تعالى في رمضانَ سنةَ ١٣٣٨هـ وتُوفِّي بعدَ أن بقي عليلًا أشهرًا في ربيعِ الأوَّل سنة ١٣٣٩هـ، ولم يَتَّفِقْ لي أنْ أُنْشِدَ رحمه الله تعالى.

---

(١) هو البطل الشهير، مقدام الراسخين، قائد المسلمين، جامع العلوم والفنون، الشيخ الكامل، المُحدِّث العظيم، الإمام القدوة مولانا محمود حسن بن ذو الفقار علي الديوبندي. وُلد في سنة ١٢٦٨هـ في مدينة بريلي، وتعلَّم في ديوبند على يد الملا محمود، والإمام محمد يعقوب النانوتوي، والإمام الحُجَّة محمد قاسم النانوتوي، ولازمه ملازمة تامَّة، وله إجازة في الحديث والسلوك من الإمام الرباني رشيد أحمد الگنگوهي. كان له جهد عظيم في تحرير بلاد الهند من الاحتلال البريطاني، وبذَل جهده ليستعين بالخلافة العثمانية، فلقي غالب باشا في مكة المكرمة، وأنور باشا وجمال باشا في المدينة المنورة، فلمَّا عرفتِ الحكومة البريطانية بإرادته اعتقلته وسجنته في مالطا، فلبث في السجن نحو ثلاث سنين. تُوفِّي في سنة ١٣٣٩هـ.

[البحرِ الطويلِ]

إذا ذُكِرَ الأسلافُ أهلُ المكارمِ ... فحيَّ هَلا بالشيخِ فَرْدِ الأكارِمِ

وإنْ ذَكروا مَنْ قامَ للهِ جاهِدًا ... فأَخْلِقْ بذكرى قائمٍ خيرِ قائمِ

وإذ كانَ مِثلَ الغيثِ أُمّةُ أَحْمَدٍ ... فما في لُحوقِ التَّبْعِ رَيبٌ لِواهِمِ

وإن كان فضلُ المرءِ قَدْرَ بلائِهِ ... وأبلى بَلاءً سابقًا في المَغانِمِ

فمَحْمودُ هذا العصرِ أَرْفعُ رُتبةً ... وأَحْمَدُ ذِكْرًا عندَ جمعِ المَواسِمِ

ومَنْ كان في ظلِّ الرِّياضِ بِساطُه ... يُنادي رِجالًا لارتيادِ المَطاعِمِ

فكم بينَ داعٍ للهدايةِ آمِنًا ... وناشرِ دِينٍ في ظلالِ الصَّوارِمِ

وكم بينَ مُصطادِ الأرانبِ والمَها ... ومُخْرِجِ صيدٍ من نُيوبِ الضَّراغِمِ

وكم بينَ لاهٍ بالتماثيلِ والدُّمَى ... ولاهٍ بسيفٍ في الطُّلى والجَماجِمِ

وكم بينَ مَنْ يَعْلو السَّمواتِ راقِيًا ... ومَنْ يَرْتقي سَقْفَ الذُّرَى بالسَّلالِمِ

وشَتَّانَ ما بينَ المُريدِ كَرامةً ... وبينَ مُريدِ الحقِّ غُنْمًا لغانِمِ

وهل يَسْتوي مَنْ ظَلَّ في البيت قاعِدًا ... يُهَنّى بإصباحٍ ويُدْعى بسالِمِ

ومَنْ في سبيلِ اللهِ دامَ مُرابِطًا ... يَشُنُّ على الأعداءِ غارةَ قاصِمِ

وتَـاللهِ مَـنْ يُؤْثِـرْهُ لـم يَقْـفُ إِثْـرَهُ ... ولا ضَـرَّهُ في اللهِ لومـةُ لائِـمِ[1]

إمـامٌ أتـى والفضـلُ مِـلْءُ رِدائِـهِ ... مُحيَّـاهُ كالبـدرِ المُنيـرِ لشـائِمِ

إذا مـا تَصَـدَّى للعلـومِ ونَشْـرِها ... لَكَالسَّـيْلِ مَجْـراهُ وليـسَ بعـارِمِ

إليه انْتهى علمُ الأحاديثِ جُمْلَةً ... بفقـهٍ وإسـنادٍ فهـل مـن مُزاحِـمِ

وطَبَّـقَ أَطبـاقَ البسـيطةِ صِيْتُـهُ ... من المَغْربِ الأَقْصى لأرضِ الأعاجِمِ

تلاميـذُه مثـلُ النجـومِ مُنيـرةً ... أَدِلَّاءُ ضُـلَّالٍ مَصابيـحُ هَائِـمِ

بُحـورُ علـومٍ تَرتَمـي بجواهـرٍ ... وعِلْـقٍ نفيـسٍ مـن كُنـوزِ الكَرائِـمِ

ومالَطَةُ صارتْ كسجنِ لِيُوسُفٍ ... مَحَلَّ خيارِ الناسِ أو سِجْنَ عارِمِ

أقـامَ بهـا لَمَّـا ثَـوى بفِنائِهـا ... صَبورًا شَكورًا راضيًا غيرَ وَاجِمِ

وما السِّجْنُ إلا مَعْدِنُ الصِّدقِ والصَّفا ... ونَشْرِ الهُدى والدِّينِ صَوْبَ الغمائمِ

أفـادَ وُفـودَ النـاسِ مـن كلِّ مَوْطِنٍ ... رَمَتْهم يَدُ التغريـبِ من كلِّ ظالِـمِ

تَرامَـتْ إليـهِ تَسـتميحُ وتَجْتَـدي ... فِئـامٌ مـن الشُّـذَّاذِ شِبـهُ الحَوائِـمِ

فعرَّفَهُـم مـا لَـمْ يكونـوا لِيَعْرِفـوا ... وسلَّكَهم طُرْقَ الهُـدى والمَعالِـمِ

رَمَتْهُـم يَـدُ العُـدْوانِ فاغْتَنَمـوا بهـا ... رَشادًا ولـم يَحْضُـرْهُ حسبَانُ زَاعِـمِ

ويـا حُفْـرةً ضَمَّـتْ عِظـامَ شَـهيدِها ... سَقَتْكِ غَوادي اللُّطْفِ من خيرِ رَاحِمِ

---

(١) لوم اللوائم (الناظم).

ويـا ثاويًـا تلـكَ البِقـاعَ التي غَـدتْ ... على السُّحْقِ والبَغْضاءِ أَدْنى المَعالِمِ

مَمَاتُـكَ خيرٌ من حياةِ الأُلى بَقَـوْا ... لِرُزْءِ الدَّواهي[1] أو لـدَرْءِ العَظائِمِ

ورُوحُـكَ في أجـوافِ طيـرٍ مُهَـادَةٌ ... ونحن على الإطلاق أَسْرى المآزِمِ

ويـا حَسْـرتا إذ لـم نفُزْ مثـلَ فَـوْزِه ... ويـا وَيْلَتـا صِرْنـا مَـداسَ المَظالِـمِ

وإن قَهرونـــا فانْقَلَبْنـا أذلَّـــةً ... فإنَّـــا ظَلَمْنـــا فابْتُلِيْنا بظالِـمِ

إذا اسْتَوْلَتِ الأهواءُ أو غَلَبَ القَضا ... فـلا يُوقِـظُ الوَسْـنانَ عَقْـدُ الرَّتائِـمِ

وإن ضلَّ مَسْعى القومِ وانحلَّ عَقْدُهم ... ولـم يُجْدِهِـمْ ما أبْرموا جِدَّ حـازِمِ

فـربَّ أمـورٍ لـم تَنَـلْ بعـدُ عَزْمَهـا ... ويُعْـرَفُ ربِّـي عنـدَ فسخِ العَزائِـمِ

فمحمـودُ هـذا العصرِ خُـذْ بذُيولِـه ... بصـدقٍ فَتَنْجو من خـلالِ الذَّمائِـمِ

وقُـمْ أيُّها الواقي لِدينك واعْتَصِـمْ ... وإلا فَتُصْبِـحْ[2] قارعًـا سِـنَّ نـادِمِ

ولا تَشْـتَرِ الدُّنيـا بدِينِـكَ ماجِنًـا ... ولا تَـكُ عبـدًا من عبيـد الدَّراهِـمِ

ولا تَـكُ مُغْتَـرًّا بجاهِـك والغِنـى ... فما أنت من رَيْبِ المَنونِ بسالِمِ

ولا تَـكُ مِمَّـن يَخْتلـون بدِينِهـم ... مَتاعًـا قليـلًا ليـس يُغْني لطاعِـمِ

---

(١) لدره الدواهي أو لحمل (الناظم).

(٢) ستصبح. (الناظم).

أيضًا في رثاءِ قُدوةِ الأذكياءِ
وزُبدةِ الأتقياءِ حُجّةِ الخَلَفِ أنموذجِ السَّلَفِ
مَولانا سيد أحمد حسن من سكناء أمروها[1]
قدّسَ اللهُ سرَّهُ العزيزَ

[من البحرِ الكاملِ]

شَمَلَ الهُدى والدِّينُ عمَّ شَتاتُه ١ والدَّهرُ ساءَ وأَقْلعتْ حَسناتُهُ
باللهِ أينَ العالِمُ الحَبْرُ الذي تَقْوى الإلهِ صِفاتُهُ وسِماتُهُ
أينَ الذي أَفْنى الشبيبةَ كافِلًا نَشْرَ العلومِ مساءَهُ وغَداتَهُ

(١) هو سيِّد العلماء وفخر الصُّلحاء، جامع العلوم ومنبع الفنون، المُحدِّث الفقيه المُتكلِّم العلامة مولانا السيد أحمد حسن بن أكبر حسين الحسيني الأمروهي. وُلِد في سنة ١٢٦٧هـ في مدينة أمروها بولاية أتر پرديش. بدأ مراحل التعليم عند مشايخ بلده، منهم الشيخ السيد رأفت علي، والشيخ محمد حسين الجعفري. ثم تعلَّم علوم الطب عند الحكيم أمجد علي. ثم ذهب إلى حجَّة الإسلام الإمام محمد قاسم النانوتوي ولازمه ملازمة ظلِّه حتى أخذ عنه كلَّ العلوم والفنون، وكان يعتبر مَن ألزم طلابه وأعلمهم. وله الإجازة في الحديث من الإمام المُحدِّث أحمد علي السهارنفوري، والشيخ المُقرئ عبد الرحمن الپاني پتي، والشيخ عبد القيوم البهوپالي، والإمام الشاه عبد الغني الدهلوي، وله الإجازة في السلوك من الإمام حاجي إمداد الله المهاجر المكي. بعد التخرُّج تصدَّر للتدريس ومارس التدريس في عدَّة مدارس، منها مدرسة شاهي في مرادآباد التي أسَّسها حجَّة الإسلام النانوتوي، ووفد إليه الطلبة من جميع أنحاء الهند. ومن أشهر طلابه ابن حجَّة الإسلام العلامة الحافظ محمد أحمد. تُوفِّي في سنة ١٣٣٠هـ بأمروها بمرض الطاعون.

أينَ الذي مُذْ لم يَزَلْ مُتواضعًا ... للهِ خالصُهُ صَفَتْ نِيّاتُهُ

مَسعودةٌ غُدُواتُهُ محمودةٌ ... رَوْحاتُهُ مَيْمونةٌ ضَحَواتُهُ

عَلَمٌ عن الإسلامِ كان مُحامِيًا ... أبَدًا إذا ما أسْلمتْهُ حُماتُهُ

جَبَلٌ تَضَعْضَعُ مِن تَضَعْضُعِ رُكْنِهِ ... أركانُنا وتَهُدُّنا هَدَّاتُهُ

يا وَحْشَةَ الإسلامِ يومَ تَمَكَّنَتْ ... في كلِّ قلبِ مُؤمنٍ رَوْعاتُهُ

لا تَحسبوه ماتَ شَخْصٌ واحدٌ ... فمَمَاتُ كُلِّ العالَمِينَ مَمَاتُهُ

١٠ ما كان أسرعَ وقتَهُ لَمَّا انْقضى ... فكأنّما سَنواتُه ساعاتُهُ

١١ كانوا جُلوسًا أمْسِ حولَ وِسادِهِ ... واليومَ حَوْلَ سريرِهِ مَشّاتُهُ

قصيدةٌ أنشدتُها عند عودة السُلالة القاسِميّة

أعني: مولانا الحافظ الحاج محمد أحمد[1] من بلدة حيدرآباد، الدكن إلى دار العلوم الديوبندية -قدَّس الله سرَّه- سنة أربع وثلاثين بعد ألف وثلاثمائة من الهجرة النبويَّة، فائزًا بنجح مساعيه في حقِّ دار العلوم المذكورة.

(من البحر الطويلِ)

١ عَـلامَ تـذُمُّ البَيْـنَ والبَيْـنُ أَسْـعَدُ ... إذا كان حَبْلًا للوِصـالِ ويُسْـعِدُ[2]

إذا كان صُبْحُ الوَصْلِ يَبْدو ضياؤُهُ ... فما طُولُ ليلٍ تَشْتكي حينَ تَسْهدُ

هـو البَيْنُ يَجْلـو عـن فُـؤادٍ مَلالَـةً ... ويُنْشـي غَرامًـا في الحَشَـا ويُجَـدِّدُ

وكيفَ يَلَذُّ القلبُ وَصْلًا ولم يكُنْ ... بـه مـن غَـرام الشَّـوْقِ نـارٌ تَوَقَّـدُ

---

(١) هو فضيلة العلامة الشيخ الجليل، الحافظ مولانا محمد أحمد بن محمد قاسم النانوتوي الديوبندي، وُلد في سنة ١٢٧٩هـ في مدينة نانوته ونشأ فيها، درس في مدرسة منبع العلوم، ثم انتقل إلى مرادآباد، ودرس عند العلامة المُحدِّث أحمد حسن الأمروهي، ثم التحق بدار العلوم ديوبند، ودرس فيها، ثم ذهب إلى الإمام الرباني المُفتي رشيد أحمد الگنگوهي، وأخذ عنه كتب التفسير والحديث، وبعد التخرُّج عُيِّن مُدرِّسًا في دار العلوم ديوبند سنة ١٣٠٣هـ، وفي سنة ١٣١٣هـ تمَّ تعيينه رئيسًا لدار العلوم ديوبند، وترقَّت الجامعة في عهده ترقية بالغة، واشتُهر اسمها في جميع أنحاء العالم. وفي ١٣٤١هـ تمَّ تعيينه على منصب المُفتي العام بحيدرآباد، تُوفِّي هذا الرئيس العظيم في سنة ١٣٤٧هـ ودُفن بحيدرآباد.

(٢) ويُرشد (الناظم).

تَنَقُّلُ حالٍ بعدَ حالٍ مُنَشِّطٌ … ودِيمةُ غيثٍ كم تُمِلُّ وتُفسِدُ
أَتَرضى نَزولَ القَطرِ أَرضٌ ولم يكُنْ … بها من قُحوطِ الغيثِ جَدْبٌ يُصَلِّدُ
ويَلْتَذُّ مَرْءٌ بالرُّقادِ لِسَهْرةٍ … إذا عادَ في العَيْنَيْنِ نَوْمٌ مُشَرَّدُ
وكم من ليالٍ بِتُّ فيها مُنَعَّمًا … ويومٍ أُراعي الشمسَ أيّانَ تَبْعُدُ
ويومٍ قَضَيْنا في هَناءٍ وغِبْطَةٍ … وليلٍ بَهيمٍ منه أَخشى وأُرْعَدُ
وللأكلِ بعدَ الجوعِ طعمٌ ولَذَّةٌ … ويَحْرُم أكلُ المُمْتلي ويُزَهَّدُ
وتَرعى جِمالٌ في الخَلاء وبعدَه … إذا لم تُحَمَّضْ لم تَزَلْ فيه تَزْهَدُ
وإلا يَصِرْ بدرًا هلالٌ ولم يَغِبْ … لَمَا رفعُوا رَأْسًا إليه لِيَشْهدُوا
وكم مِنْ سُرى ليلٍ حَمِدْتُ صَباحَهُ … وإنْ كان شَقُّ النفسِ يُوهي ويُجْهِدُ
وكُنتُ حليفَ الفِكْرِ أشكو تَنائيًا … ولَيْلي طويلٌ بالهَواجسِ سَرْمَدُ
أُجاذِبُ ثوبَ الهمِّ طَورًا وتارةً … أُقاسي سَقامًا في المَعاطِبِ يُورِدُ
إلى أن مضتْ تلك الليالي وآذنتْ … بقُربِ اللِّقا ريحُ البشارةِ تَرْفُدُ
أُلامُ على حُبِّي لأحمدَ ناشِئًا … أُناصِحُهُ دِينًا فكيفَ أُفَنَّدُ
وأَرضى بما يَرضى من الفضلِ والعُلا … وبَذْلُ المَساعي في المَكارمِ يُحْمَدُ
وإمّا تَرَوْني لا أَزالُ مُشَمِّرًا … فما لِهَوى نَفْسي أُسَلُّ وأُغْمَدُ
فَرُبَّ مَقامٍ قد حَمَيْنا ثُغورَهُ … وفَتْقٍ رَتَقْناهُ فهل ذاكَ يُجْحَدُ

أخٌ ناصحٌ في حالة البُؤسِ والرَّخا وأيَّامَ أُرضيهِ وأيَّامَ أُجْهِدُ

وهل يُرْتضَى في شِرْعةِ الوُدِّ أن أرَى لِسَقْيِي وإرْوائي تَسيلُ وأُجْمَدُ

يُفَنِّدُني أنْ أَبْذُلَ النُّصحَ طَاقَتِي ولو ذاقَ طَعْمَ النُّصحِ تابَ المُفَنِّدُ

يَظنُّون ظَنَّ السُّوءِ جَهْلًا ولَيتَهُم دَرَوْا أنَّ بعضَ الظنِّ في النار يُورِدُ

أُواخيهِ أَبْغي في رِضاهُ ذَخيرةً رِضاءَ أَبيهِ يومَ يُغني التَّزَوُّدُ

هو القاسمُ الخيراتِ في الخَلْقِ كلِّهم له في لسانِ الصِّدقِ ذِكْرٌ مُخَلَّدُ

تَفَجَّرَتِ الأنهارُ من بحرِ صدرِهِ لِتُرْوَى عِطاشٌ غائبون وشُهَّدُ

إمامٌ لأهلِ الدِّينِ قُطْبُ رَحاهمُ مُؤَسِّسُ أَرْكانِ الهُدى ومُشَيِّدُ

أقامَ مَنارَ الدِّينِ من بعدِ مَيْلِهِ وعادَ يُفيضُ النورَ فَهْوَ المُجَدِّدُ

له العِزَّةُ القَعْساءُ والناسُ إذْ رَأَوْا سَنامَ عُلاها رَاكِعون وسُجَّدُ

هو القاسمُ المحمودُ أحمدُ قاسمٌ معارفَ عِلْمِ اللهِ غَضًّا لِيَهْتَدوا

أتانا لَدى الإملاقِ فاخْضَرَّتِ الرُّبَى وأَشْرَقَ أزهارٌ ورَوْضٌ مُوَرَّدُ

جوادٌ يُرَوِّي جودُه كلَّ مُجْدِبٍ كغيثِ ربيعٍ بل وأَجْودُ أَجْوَدُ

تَبَدَّتْ له الدُّنيا جمالًا فعافَها ولا شافَها عَينٌ ولا مَسَّها يَدُ

وأيَّ زمانٍ كان إذ كان فيهمُ وأيَّ حياةٍ ودَّعوا حينَ أَلْحَدُوا

وأحمدُ ذاك الشَّهْمُ جرَّدَ عَزْمَهُ لنيلِ المَعالي والخَلِيُّونَ رُقَّدُ

يُعانِي عَناءَ البَاذِلِينَ نُفُوسَهم … لِيُدْرِكَ شَأْوَ السَّابقينَ ويَجْهَدُ

مضى يَبْتغي ذُخرًا من الخير يَقْتَني … وعادَ نَجيحَ السَّعْيِ والعَوْدُ أَحْمَدُ

تُراثُ أبيهِ لم يُضِعْهُ ولم يَزِغْ … وإنْ سَعَّروا للحرب نارًا وأَوْقَدُوا

وِدَادي له حتى وصَفْوُ مَوَدَّتي ٤٠ ولا ذَنْبَ لي إن مات بالغيظ حُسَّدُ

ونَرجو من الله الكريمِ بعفوه ٤١ يُجاوِزُ عن آثامِنا ويُغَمِّدُ

قصيدةٌ أُخرى فيه

(من البحرِ البسيطِ)

قد بِتُّ طُولَ زَماني ساهِرًا أو صِبًا … أيَّامَ راحَ حَميدُ القومِ مُغْتَرِبَا
راحَ الكريمُ لنصرِ الدِّينِ مُجتهدًا … وبِتُّ كالصَّبِّ مَكْروبًا ومُكْتَئِبًا
قد كنتُ مُدْنَفَ جسمٍ طالَ عِلَّتُهُ … زادَ الزمانُ على عِلَّاتِهِ نَصَبَا
أيَّامَ لا راحةٌ وارَتْ دُوَيْرَتَنا … وظُلَّةُ البِشْرِ لم تَمْدُدْ لنا طُنُبًا
أيَّامَ لم نكتحِلْ نَوْمًا ولَذَّتَهُ … ولم تَحُمْ حولَنا البُشرى ولا قَرُبَا
بِتْنا كأنَّا على الرَّمْضاءِ مَضْجَعُنا … ولَوْنُ وَجْنَتِنا بالهمِّ قدْ شَحُبَا
حتى عَلِمْنا بفَوْزِ القِدْحِ من كَثَبٍ … وبَشَّرَ البرقُ تَبْشيرًا وما كَذَبَا
فاليومَ إذ بزَغَتْ أنوارُ طَلْعتِهِ … طارَ الزَّمانُ وطِرْنا كلُّنا طَرَبَا
وما لِبُعْدٍ وأسفارٍ بِمَنْقَصةٍ … إذا لِنُجْحِ المَساعي صارَ مُعْتَقِبًا
آبَ الكريمُ لثوبِ المَجْدِ مُكْتَسِبًا … جَمَّ الثناءِ وذُخْرَ الخيرِ مُكْتَسِبَا
أَكْرِمْ بأصلٍ أصيلٍ طابَ طِينَتُهُ … ويا لِفَرْعٍ نبيلٍ قد زَكا ورَبَا
أنت الخليفةُ للأسلافِ حين مَضَوْا … على السبيلِ فيا طُوبَى لِمَنْ رَغِبَا

ما دُمتَ في شرفٍ فالعِلْمُ في شرفٍ   والجَهْلُ من سعيهِ المَشْكورِ قد نكَبا
فيا نَدامةَ مَنْ عاداكَ مُنتَبِذًا   ويا سَعادةَ مَنْ وَالاكَ مُحْتَسِبا
لا زلْتُ منك قريرَ العينِ يا ثِقَتي   ويا عِمادِيَ فانْعَمْ وارْتَقِ السَّبَبا

قصيدةٌ في شأنِ أعلى حضرةِ مُحيي الملّةِ والدّينِ نظامِ المُلكِ آصف جاه مير عثمان علي خان بهادر[1] سلطان الدكن خلّدَ اللهُ مُلكَهُ وسُلطانَهُ

[البحر البسيطِ]

أشعارُ التشبيب

راحَتْ سُلَيْمى فهاجتْ منك أشجانًا   وأَوْقدَتْ في الحشا والقلبِ نِيرانًا   ١
راحَتْ وما برِحَتْ بالوعدِ تَمْطُلُني   مَطْلَ الغنيِّ يَلُطُّ الدَّيْنَ عُدْوانَا
وما سُلَيْمى غَداةَ البَيْنِ إذ رَحَلَتْ   إلا كَعابٌ لطيفُ الخَصْرِ رَيّانَا

---

(١) هو المُوقَّر السيد السلطان مير عثمان علي خان بهادر، وُلِد في سنة ١٣٠٣هـ وهو آخر نظام ملك الدولة الإسلامية الآصفية بحيدرآباد الدكن، كان له اهتمام كبير بالعلم والعلماء، وكان يُنفق ١١٪ من ميزانيته على التعليم، وكذلك يُنفق على عديد من المؤسَّسات العلمية، منها دار العلوم ديوبند، والجامعة العثمانية، وجامعة علي كره الإسلامية، وساعد في إنشاء وبناء ندوة العلماء في لكنو، وأسَّس المكتبة الآصفية المشهورة، ومتحف حيدرآباد، والبنك الإسلامي المسمَّى بنك ولاية حيدرآباد، وأصدر عملتها الخاصة، وكذلك لمَّا قام المجلس الشرعي الإسلامي الأعلى في فلسطين بتجديد عمارة المسجد الأقصى وقبة الصخرة سنة ١٣٤٧هـ كان من أكبر المُتبرِّعين لهذا المشروع، وكذلك أسَّس جمعية دائرة المعارف العثمانية، وطبع عديد من الكتب الشرعية بعنايته، منها «التاريخ الكبير» للبخاري، و«الجرح والتعديل» لابن أبي حاتم، و«المجتبى» لابن دريد. تُوفِّي هذا الحاكم المشفق في ١٣٨٦هـ.

صِيغَتْ بقالَبِ حُسْنٍ واكْتَسَتْ حُلَلًا ... من الجمالِ تَمامًا حيثُ ما كانَا

بالقَدِّ مُعتدِلًا والخَدُّ مُلْتَمِعًا ... والوَجْهُ كالبدرِ تِمثالًا وعُنوانَا

والكَفُّ ناعِمَةٌ والرِّدْفُ مائِلَةٌ ... والصَّدْرُ مُمْتلئٌ والنَّهْدُ رُمَّانَا

فاقَتْ ببهجَتِها راقَتْ بطلعَتِها ... سُبْحانَ يا مَنْ كسا بالحُسْنِ سُبحانَا

صِينَتْ بعفَّتِها عن عَيْنِ ناظرِها ... ورَيْبِ طالِبِها إنْ عَزَّ أَوْ هَانَا

تلكَ التي أَوْدعَتْ قَلْبي لَظَى سَقَرٍ ... لا أَستطيعُ لها وَصْلًا وهِجْرانَا

أُمسي وأُصبحُ في سَهْرٍ وأَرَقٍ ... أُرَقْرِقُ الدمعَ كالوسْمِيِّ هَتَّانَا

مَخلص إلى ذكر الممدوح وأوصافه

إذا رَمَتْكَ يدُ البَلْوى بداهيةٍ ... نادِ الخليفةَ ظِلَّ اللهِ عُثمانَا

الفائضَ الجودِ سَحًّا غيرَ مُكْتَرِثٍ ... والقاهرَ المارقينَ اللُّدَّ طُغْيانَا

والمُكرِمَ الوَافِدينَ الخَيرُ بُغْيَتُهم ... تَطوي المَهامِهَ فُرْسانًا ورُكْبانَا

والمُؤْمِنَ العَائذينَ الضُّرُّ يُجْحِفُهم ... تَبْغي حِماهُ زَرافاتٍ ووِحْدانَا

مُحْيِي الرُّسومِ لأملاكٍ مَضَوْا سَلَفًا ... بَذْلًا وجُودًا ونَسْكابًا وتَهْتانَا

مَكارِمٌ سَبَقَتْ من غيرِ مَعْرِفةٍ ... للقَانِعينَ وللْمُعْتَرِّ أَحْيانَا

أَحبَّـهُ النـاسُ في سِـرٍّ وفي عَلَـنٍ ... حُـبَّ القُرَيْشِ لعُثمـانَ بـنِ عَفَّانـا
أَحيـا البريَّـةَ أَولاهُـم وأَجْمَلُهـم ... يُقَطِّـعُ الليـلَ تَسْبيحًا وقُرْآنـــا
مــاذا أقـولُ لِمَـنْ كانَ السَّـمِيَّ لـه ... وكان أَشْـبَهَهُمْ جُـودًا وإِحْســانَا
٢٠ أقـولُ إذ ذاكَ قـولَ الحَبْـرِ ذي ثِقَـةٍ ... ابـنِ المُبـارَكِ إِذْعانًـــا وإيقَانَــا
اللهُ يَدْفَــعُ بالسُّـلْطانِ مُعْضِلَـــةً ... عــن دِينِنَـا رحمـةً منـه ورِضْوانَــا
لـولا الخليفـةُ لـم تَأْمَـنْ لنا سُـبُلٌ ... وكـــان أَضْعَفُنـا نَهْبًــا لأَقْوانَــا
أَكْـرِمْ بـه مـن سليلِ المَجْـدِ مُنْتَميًا ... لِمَـنْ تَحَلَّـتْ بِـهِ أرضٌ لجَبْلانَــا
أَكْـرِمْ بـه وبأسـلافٍ لـه سَـلَفَتْ ... بَثُّـوا المَـكارمَ تَفْسـيرًا وتِبْيانَــا
للهِ دَرُّكَ يــا عثمــانُ مــن مَلِـكٍ ... بَـذَّ المُلـوكَ فمـا أَعْـلاكَ بُرهانَــا
ما فاحَ عَرْفٌ لمعروفٍ سَمَحْتَ بـه ... إلا وزادَ علـى الرَّيحـانِ رَيْحانَــا
أَعَدْتَ من شوكةِ الإسلامِ ما انْدَرَسَتْ ... وشُـدْتَ للدِّيـنِ أَعضـاءً وأَرْكانَــا
مُحْيِي الشَّريعةِ أَمطارٌ لك انْهَمَرَتْ ... فأنـت مُحْيِي رُسـومِ الدِّيـن صَوَّانَـا
دارُ العلـومِ التـي أَحْكَمْـتَ بُنْيَتَهـا ... تَرجـو بقـــاءَكَ أَسْـحارًا وآوانَــا
٣٠ أَبقــاكَ ربُّـكَ في عِــزٍّ وفي شَـرَفٍ ... فأنـت كَهْفُ الـوَرى لا زِلْـتَ مِعْوانَـا
٣١ تُجْبَـى إليـك جِبايـاتُ البـلادِ كمـا ... إليـك تَضْـرِبُ أَهْـلُ العلـمِ أَعْطانَـا

قصيدةٌ أُخرى فيه

[البحرِ البسيطِ]

إنِّي لِما بيَ من عِيٍّ ومِن لَكَنٍ   وما يُثَبِّطُ عمَّا ليسَ يَنْفَعُني
لا أَرْكَبُ النَّفسَ صَعْبًا لا قِيادَ له   ولا بَنانِي لِنَظْمِ القَوْلِ تُسْعِدُنِي
وليسَ من خُلُقِي مَدْحٌ لِمَكْسَبَةٍ   ولا ازْدِراءٌ لعِرْضِ الناسِ يُشْغِلُني
لكنَّ حُبِّي لعُثمانِ الغِنى سَلَفًا   يحدو لِساني إلى الإفصاحِ بالْمِنَنِ
قد قَلَّبَ الدَّهْرُ أحْوالًا وصَرَّفَها   فأصبحَ الناسُ في الَّلأْواءِ والمِحَنِ
كم من كرامِ السَّجايا أَصْلُ طِينِهِمُ   فَكُّ العُناةِ وكَفُّ البَغْيِ والإحَنِ
شُمُّ العَرانينِ أَبْطالٌ ذَوُو شَرَفٍ   طُلُقُ الوُجوهِ على بَأْسٍ وفي حَزَنِ
غُرٌّ مَيامِينُ لا تُخْشى بَوادِرُهُمْ   ولا يَبيتُ لهم جارٌ على ضَغَنِ
أَمْسَوْا رَهينَ هُيامٍ واغْتَدَوْا شَبَحًا   تَنْهَلُّ عَبْرَتُهم كالعارضِ الهَتِنِ
فلا تَسَلْ كيف أمسى الناسُ في هَرَجٍ   فَوْضى على سَنَنِ المَصْفودِ في القَرَنِ
فانْفَضَّ جمعُهُمُ وانْسَلَّ سِلْكُهُمُ   صاروا أَباديدَ في ذُلٍّ وفي مِهَنِ

وعن بلادٍ زَواهِي الحُسْنِ تَحْسَبُها ... مِثْلَ العَروسِ على رِأْيِ لها حَسَنِ
وعن رياضٍ زَواهِي الفَرْعِ كيفَ ذَوَتْ ... أَغْصانُها وتَلاشَتْ خَضْرَةُ الدِّمَنِ
وعن غَوانٍ حِسانِ الوَجْهِ صَيَّرَها ... دَرْكُ البلاءِ رَهينَ اللَّحْدِ والكَفَنِ
هيَ الدَّواهِي فلا تُبْقي على أحَدٍ ... ولا تَرِقُّ لمولودٍ ولا يَفَنِ
ولا تَئِنُّ لمكروبٍ ومُبْتَئِسٍ ... ولا تَحِنُّ إلى تُرْبٍ ولا وَطَنِ
فلا مَحيصَ لنفسٍ عن مرارتِها ... ولا عن الشُّرْبِ من مَورودِها العَفِنِ
فهم على جُرُفٍ هارٍ مَنازِلُهم ... وفي المَخالبِ مَشْدودونَ بالرَّسَنِ
لولا عَواطِفُ ظِلِّ اللهِ تَشْمَلُهُمْ ... بادُوا من الضُّرِّ والآلامِ والشَّجَنِ
تاجُ المُلوكِ نظامُ المُلْكِ آصِفُه ... رَامي السَّدادِ مُقيمُ المَيْلِ والحَجَنِ
إنَّ المُلوكَ إذا قِيسَتْ مَكارِمُها ... وما حَوَوْها من الأقدارِ والمُدُنِ
لم يَبْلُغوا عُشْرَ مِعْشارِ جَلالَتِهِ ... وحَظُّهُمْ ليس غيرَ الجِنْسِ والثَّمَنِ
إذا رَأَوْكَ تُجاريهم وتَسْبِقُهُمْ ... مالُوا حَياءً قد انْكَبُّوا على الذَّقَنِ
عُثْمانُ أَظْرَفُهم عَقْلًا وأَرْوَعُهُمْ ... قَلْبًا وأَعْلَمُهم بالفَرْضِ والسُّنَنِ
عُثْمانُ أَنْداهُمُ كَفًّا وأَجْوَدُهُمْ ... جُودًا وأَبْذَلُهم في السِّرِّ والعَلَنِ
عُثْمانُ أَقْواهُمُ بَطْشًا وأَكْثَرُهُمْ ... بَأْسًا وأَضْرَبُهم للهامِ في الفِتَنِ
عُثْمانُ أَحْلاهُمُ لفظًا وأَفْضَلُهُمْ ... قَولًا وأَفْصَحُهُمْ في النُّطْقِ واللَّسَنِ

عُثمانُ أَوْسَعُهم صَدرًا وأَرفَعُهمْ ... ذِكرًا وأنفعُهم للبائِسِ الحَزَنِ
عُثمانُ رائِضُهم عُثمانُ قائِدُهُمْ ... عُثمانُ هاديهمُ المَهْديُّ في الزَّمنِ
عُثمانُ أَليَنُهم طَبْعًا وحيثُ يُرى ... في العَدِّ ثَلمًا شديدَ البأسِ لم يَلِنِ
عُثمانُ لا يَعتريه الهَمُّ في جَلَلٍ ... ولا يُصاحِبُهُ شيءٌ من الوَهَنِ
عُثمانُ أَكرمُهم عُثمانُ أَحلَمُهم ... عُثمانُ أَبصرُهم للرَّأيِ في الفِتَنِ
أَنجالُه الغُرُّ أَطْوادٌ لهم نسَبٌ ... إلى أَمينٍ ومَأْمونٍ ومُؤْتَمَنِ
اللهُ قَدَّر أَرزاقًا تَقَسَّمَها ... على الورى بينَ مَحظوظٍ ومُمْتَهَنِ
كَرامةً لذوي فضلٍ ومَنزلةٍ ... لُطفًا وغَوثًا لمَلْهوفٍ ومُفْتَتَنِ
كم مُسْتَتِينَ عِجَافٍ أصبحوا بِدَدًا ... لا يَأْتُون إلى كِنٍّ ولا زَفَنِ
أَدرَكْتَهُمْ ودُموعُ العينِ تَخنُقُهم ... وعُلْتَهُمْ وهمُ كالشَّنِّ في السِّمَنِ
أنت المَلاذُ لأهلِ الفضلِ تَجْمَعُهم ... من العراقِ ومن مصرٍ ومن عَدَنِ
ومن غُيوثكَ أرضُ الشامِ مُخْصِبةٌ ... ومن سَحابِكَ ظَلَّ اليُمْنُ في اليَمَنِ
أَمّا الحِجازُ فنُعماكَ التي اتَّصَلَتْ ... بأرضِها كيفما تَخفى على الفَطِنِ
فأنت خادمُها ترجو بخدمتِها ... أجرًا جَزيلًا من الرَّحمنِ ذي المِنَنِ
ترجو شفاعةَ خَتْمِ الأنبياءِ غدًا ... برٌّ رؤوفٌ لدى ذي العَرْشِ مُؤْتَمَنِ
وأرضُ هندٍ على أرجائِها اشتملتْ ... على أيادِيكَ من ماءٍ ومن لَبَنِ

ومن نُضارٍ ومن دُرٍّ ومن وَرِقٍ ... ومن عبيدٍ ومن خيلٍ ومن بُدُنِ
ومن جِنانٍ ومن زَهْرٍ ومن ثَمَرٍ ... ومن مِهادٍ ومن ظِلٍّ ومن هُدُنِ
فما مَساجدُها أو ما مَدارسُها ... وما رِباطاتُها المَحمودةُ السَّنَنِ
إلا ومنك بها الأنوارُ ساطعةٌ ... ومنك أرباضُها مَضروبةُ العَطَنِ
ومنك تَزْهو على الأزهارِ زَهْرتُها ... ومنك أَشْجارُها مُخْضَرَّةُ الفَنَنِ
ومنك أسحارُها مُفْتَرَّةٌ أَرَجًا ... ومنك سُمَّارُها في النَّعْسِ والوَسَنِ
ومن سُيولِكَ تَستجدِي جَداولُها ... وفي نَوالكَ تَجري الرِّيحُ بالسُّفُنِ
ومن نداكَ على دارِ العلومِ عَلَتْ ... بدِيوَبَنْدَ وقد طارَتْ على اللُّسُنِ
وشَرَّقَ الصِّيتُ منها ثم غَرَّبَ مِن ... إفاضةِ العلمِ بالقرآنِ والسُّنَنِ
قدِ استفاضَ لدى الأعلامِ شُهْرتُها ... رِوايةً من صحيحٍ ثم من حَسَنِ
ولو صَدَعْتُ بأنَّ الفَضْلَ مُنْحَصِرٌ ... فيها لكُنْتُ على حقٍّ ولستُ أَنِي
ففي البلادِ تُنادى مُفْردًا عَلَمًا ... وفي المعالِمِ مثلُ العينِ من جُفُنِ
فرُبَّ ذُخْرٍ لِمَن عانى إعانَتَها ... ورُبَّ عيشٍ هنيءٍ يانِعٍ وجَنِي
فأنعِمْ بأهنأِ عيشٍ سائغٍ رَغِدٍ ... صَفْوٍ نَقِيٍّ من الأوساخِ والدَّرَنِ
ولا تَزالُ بكَ الدُّنيا مُزَيَّنَةً ... ومنك أيّامُها صَفْوًا بلا دَخَنِ
ولو رَمَتْ نائباتُ الدَّهرِ أعينَها ... شَزْرًا إليكَ فلا كانتْ ولم تكُنِ

فأنتَ واحدُ ذي الدُّنيا وزينتُها ٦٠ وحيثُ ما لم تكُنْها سابقًا فَمَنِ

ولا تَزالُ بأمرِ الدِّينِ مُجْتَهِدًا ٦١ مُقَوِّمًا كقيامِ الرُّوحِ بالبَدنِ

قصيدةٌ أخرى فيه دُعائيةٌ ثنائيةٌ امْتنانيةٌ

تُهدى من دارِ العلومِ الإسلاميةِ في ديوبندَ المحروسةِ إلى السُّدَّةِ السَّنيَّةِ الآصفيَّةِ النظاميَّةِ العُثمانيَّةِ أدامَ اللهُ بهجَتها ونَضارَتها ببقاءِ الملكِ الجليلِ مير عثمان علي خان بهادر نظامِ الملك آصف جاه سلطان الدكن خلَّدَ اللهُ مُلْكَهُ وسُلطانَهُ، وأفاضَ على العالَمينَ بِرَّهُ وإِحْسانَهُ.

[البحر الوافر]

أَلا خَلِّ الصَّبابةَ والغَرامَا ١ وذِكْراكَ الحُمَيَّا والنَّدامَى
وحاناتِ المُدامِ وعاكِفيها وكأسَ الرَّاحِ والشَّرْبَ الكِرامَا
وجاماتٍ على أَيْدي مِلاحٍ يَزيدُك طرفُها السَّاجي سَقامَا
وإيَّاكَ الحبائبَ والغَواني تَصيرُ بهنَّ صَبًّا مُسْتهامَا
بُثَيْنَةُ والرَّبابُ وأُمُّ عمرٍو ولُبنى تُشْبِهُ البَدْرَ التَّمامَا
وسُعْدى لا تُريدُ لها وِصالًا ولَيْلى لا تَهيمُ بها هُيامَا
ومَيَّةُ لا تَرومُ لها ذَواتًا وسَلْمى لا تَزيدُ بها أُوامَا
فتلكَ خَلاعةُ الشُّبَّانِ شِيبَتْ مُجُونًا واجْتراءً واجْتِرامَا

إذا تكسوكَ مَنْدَمـــةً وخِزْيًـــا ... وفي أُخـــراكَ تَلْـقَ بهـا أثامَـا[1]

وهَبْـكَ حُيِيـتَ أَطْيَـبَ كلِّ عيشٍ ... فمـا عُقبـاكَ إلا أن تُذَامَــا

ودَعْ عنـك التَّمـاديَ في التَّعامـي ... فـإنَّ الصُّبحَ قـد كشـفَ الظَّلامَـا

ولا تَجْهَـــلْ فـــإنَّ الجهـلَ داءٌ ... وخُـذْ بالعلـمِ وارْضَ بـه إمامَـا

دارُ العلومِ الدِّيوبَنْديةُ

بِدِيوبَنْــدَ أَشْــرقَت أنــوارُ علـمٍ ... أضـــاءَ بضوئِهـا الدُّنيـا تمامَـا

بهــا دارُ العلــومِ لهـــا مَنــارٌ ... رفيـعُ السَّـمْكِ يَخْتـرِقُ الغمامَـا

ريــاضُ الفضــلِ اِهْتـزَّتْ رُباهــا ... وزَهْـرُ الدِّيـنِ تَبتســمُ ابْتسـامَا

تَضَـوَّعَ ريحُهـــا شَـرقًا وغَرْبًـا ... ويَشْـمُلُ ظلُّهـا يَمَنًـا وشَـامَا

فأحياهُـم وقـــد كانـــوا مَواتًـا ... وأيْقَظَهُـمْ وقـــد كانـــوا نِيامَـا

ولـــولا مـــا عليـــه سَنا قَبـولٍ ... لَمـا نالُــوا الهُـدى عامًـا فعامَـا

فيـا نُـورَ العلــومِ ازْدَدْ بهـــاءً ... ويـا جَهْـلُ اخْسَـأْنَّ فـلا مُقامَـا

ومَـن لـم يَـدْرِ أو يَجحَـدْ بفضـلٍ ... فقُـلْ للجاهليـنَ بهـــا سَـلامَا

---

(١) وفي الأخرى تذوق بها أثاما. (الناظم).

مَن شيّدها وأسّسها

أَتاحَ لها الإلهُ رجالَ صِدْقٍ تَبيتُ لربِّها أبدًا قِيامَا
يرونَ اللغوَ مَحْجورًا عليه إذا مَرُّوا به مَرُّوا كِرامَا
إذا ما هاجَ خُلْفٌ أو مِراءٌ يكونُ الأمرُ بينَهُمُ قَوامَا
أقامُوا بعدَ وَهْيٍ وانْتكاسٍ عَمودَ الدِّينِ حتَّى اِسْتَقامَا[1]

مَن أعانها وتحمّل معاشها

وكَفَّلَها مِنَ أهْلِ الدِّينِ قومًا خِيارًا باذِلِينَ لها كِرامَا
فرَبَّوها بنفسٍ أو بمالٍ رِعاءَ الأُمِّ مَنْ ذاقَ الفِطامَا
فِئامًا يَبْذُلون الجُهْدَ نُصْحًا إذا انْقرضُوا أتاحَ لها فِئامَا

فصلُ الخطابِ بذكرِ الملكِ العادلِ مير عثمان علي خان بهادر سلطانِ الدكنِ خلّدَ اللهُ مُلْكَهُ، وصانَها عن الفتنِ والمِحَنِ

وكفَّلَ حفظَها شهمًا نبيلًا صَفوحًا باذلًا مَلِكًا إمامَا
مَليكَ الأرضِ باسطَ ظلِّ عدلٍ وأَمْنٍ لا مِراءَ ولا كَلامَا

---

(١) جهدا فاستقاما. (الناظم).

فَرَيَّشَها ودافعَ عن حِماها … بِبذلِ ماهرٍ هَطِلٍ دَوامَا
وشَيَّدَ رُكْنَها حِصْنًا مَنيعًا … وقلَّدَ جِيدَها مِنَنًا جِسَامَا
فيا فَخْرَ الزمانِ ولا أُورِّي … ويا مَلِكَ المُلوكِ ولا احْتشامَا
دَعَوْكَ نِظامَها ودُعيتَ حقًّا … بعثمانَ الحَيا مَلِكًا هُمامَا
نِظامُ المُلْكِ آصف جاه فَضْلٍ … بذي النُّورَيْنِ تَتَّسِمُ اتِّسامَا
وما النُّورانِ إلا نُورُ عَقْلٍ … وعِرْفانٍ يَفوقُ به الأنامَا
وما النُّورانِ إلا نُورُ وَجْهٍ … وأخلاقٍ كَمُلْنَ له وَسَامَا
وما النُّورانِ إلا حُسْنُ هَدْيٍ … وسَمْتٍ في خِصالِ الخيرِ قَامَا
وما النُّورانِ إلا نُورُ عَدْلٍ … ورَأْفَةُ راحمٍ مَلَكَ الزِّمامَا
وما النُّورانِ إلا نُورُ عَفْوٍ … وقُدْرَةِ مَنْ يُضيمُ ولا يُضامَا[1]
وما النُّورانِ إلا نُورُ دِينٍ … ودُنيا لن تَغُرَّ ولن تُرامَا
مُلوكُ الأرضِ ضلُّوا عن سبيلِ … طريقِ الحقِّ فازْدادوا مَلامَا
وأنتَ لرُشْدِهم علمٌ ونورٌ … وأنتَ القائدُ السَّاري أمامَا
بأنوارِ الإلهِ لكَ اعتصامٌ … إذِ الأملاكُ تَخْتَبِطُ الظَّلامَا

(١) ولن يضاما. (الناظم).

وإنْ زاغُوا لِغَيٍّ بعدَ رُشْدٍ   سَنَنْتَ لها الأسنَّةَ والسِّهامَا

وإن سامُوك أو نَصبُوا حِجاجًا   رُمُوا بالصَّمْتِ وانْقلبوا نَدامَى

نَدامَى خائِبِينَ بلا مِراءٍ   حَيارَى صَاغرِينَ لَه طَغامَا

رَقيتَ إلى الثُّريَّا في اعتلاءٍ   وأَوْطَنْتَ المُبَسَّطةَ اهْتضامَا

ورُضْتَ من المكارمِ كلَّ صعبٍ   وسَخَّرْتَ الكَواهلَ والسَّنامَا

الدُّعاءُ لحضرةِ سُلطانِنا الملكِ العادلِ خلَّدَ اللهُ مُلكه

فلا زالتْ بكَ الأيَّامُ غُرًّا   وكنتَ لشملِها أبدًا نِظامَا

ولا زالتْ غُيوثُكَ ماطِراتٍ ٥٠ إذا الأنواءُ تَحْتَبِسُ الغَمامَا

وكيفَ تُصيبُكَ الدُّنيا برُزْءٍ   وأنتَ لدائِها طبٌّ على مَا

وظلُّ اللهِ في طُولٍ وعَرْضٍ   أميرُ المُؤمنينَ ولا الحِجَامَا

بقيتَ لنا بَقاءَ الدَّهرِ حتى   تُخَلِّفَ في النَّدى دِيَمًا رِهَامَا

وتَهْدي الناسَ في طَيٍّ ونَشْرٍ ٥٤ على نَفَحاتِها نَشْرُ الخُزامَى

وأيضا فيه

حينَ صدرَ المنشورُ العُثمانيُّ السُّلطانيُّ بخمسمائةِ روبيةٍ في كلِّ شهرٍ لدارِ العلومِ الدِّيوبَنْديةِ زمنَ إدارةِ السُّلالةِ القاسميةِ.

[البحرِ البسيطِ]

إنَّ المليكَ نظامَ المُلكِ كَوْكبةٌ ... سَعْدُ السُّعودِ لبيتِ العزِّ والشَّرفِ
ظِلُّ الإلهِ على وجهِ البَسيطِ ذرى ... وباسِطُ العدلِ ماحِي الجَورِ والأسَفِ
وقائمٌ بصريحِ الحقِّ في وسَطٍ ... من الجَوانبِ في عَذْلٍ ومُنْتَصَفِ
ودُرَّةُ التاجِ للأمــلاكِ قاطبــةً ... فريدةُ الشأنِ فَرْدَ الوَصْفِ في الصَّدَفِ
أحيا المَعالِمَ حقًّا بعدَ ما دَرَسَتْ ... وطَهَّرَ الأرضَ من مَيْلٍ ومن حَنَفِ
ومَكَّنَ الدِّينَ فوقَ الأرضِ مُنبَسِطًا ... والشَّرْعَ من طرفٍ منها إلى طَرَفِ
ومَهَّــدَ العلــمَ في أيَّامِ دَولتِهِ ... وشَنَّفَ السَّمعَ من ذِكْراهُ بالطَّرَفِ
كان المَعالِمَ قــد ثُلَّتْ فعَمَّرَهــا ... وصانَها عن عَواري الدَّهرِ والتَّلَفِ
كانَتْ مكارِمُــهُ مِن قبلُ شــامِلةً ... دارَ العلومِ على عصرٍ من السَّلَفِ
فإنَّهــا لَكَنُــورِ الصبحِ ســاطعةٌ ... في دِيوَبَنْدَ بلا فخرٍ ولا صَلَفِ

أَضْحى البسيطةُ منها في سَنا قَمَرٍ   تَمْحو الظلامَ كضوءِ الشمسِ من عَسَفِ
فهزَّ من عِطْفِهِ عِرْفانَ رُتْبَتِها   وخَصَّها بمزيدِ الفَضْلِ والتُّحَفِ
فالعدلُ شاكرُهُ والفضلُ ذاكرُه   وسائرُ الناسِ من داعٍ ومُعْتَرِفِ
وعَمَّهُمْ فيضُه كالغيثِ مُنْهمرًا   بالجُودِ من سَلَفٍ منهم إلى خَلَفِ
فدامَ بالمُلكِ والعِزِّ العزيزِ كما   دامتْ رعيَّتُه في رَوْضةِ الأُنُفِ
وقائمًا بحدودِ الشرعِ مُجْتهِدًا   بالفضلِ والعدلِ ثم العطفِ واللُّطُفِ
وكان في ظلِّه المبسوطِ عامرةً   ١٧   بلادُه أبدًا في الرِّيفِ من شَظَفِ

قَصيدةٌ في رثاءِ شيخِنا وسيِّدنا زبدةِ العارفين قُطبِ الواصلينَ مولانا الشيخ الحافظ الحاجّ الشاهِ عبد الرَّحيم الرَّايبوري[1] قدَّسَ اللهُ روحَه ونوَّرَ ضريحَهُ

الْمُتَوفَّى في ليلةِ الخامسِ والعشرينَ من الربيعِ الثاني سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وثلاثمائةٍ وألفٍ.

[البحرِ الطويلِ]

أَهاجَكَ وَجْدًا فالدُّموعُ هَوامِعُ ١ خَلاءُ المَلاهي والدِّيارُ بَلاقِعُ

مَحَتْ رَسْمَهَا هُوجُ الرِّياحِ وغادرَتْ أثافِيَّها سُفْعًا[2] بُروقٌ لَوامِعُ

(١) هو الشيخ الجليل والمُربِّي الكبير الصالح المُصلح الصوفي البصير الشاه عبد الرحيم الرائبُوري، وُلد في سنة ١٢٧٠ بمدينة تِگري، مدينة صغيرة قريبة من دهلي، بدأ التعليم في مدينته، ثم ذهب إلى لُدهيَانه عند المُفتي محمد اللدهيانوي، ثم التحق بمظاهر العلوم بسهارنفور، وقرأ كتب الحديث على الشيخ المُحدِّث محمد مظهر النانوتوي والشيخ أحمد حسن الكانپوري، وله الإجازة في الحديث من الإمام المُحدِّث أحمد علي السهارنفوري، والشيخ المُقرئ عبد الرحمن الپاني پتي. وله الإجازة في السلوك من الشيخ الميان عبد الرحيم السرساوي السهارنفوري والإمام حاجي إمداد الله المهاجر المكي. واختير عضوًا في مجلس الشورى بدار العلوم ديوبند ومظاهر العلوم سهارنفور، وله جهود جبارة في إصلاح البيئة المسلمة في الهند أيام الاستعمار البريطاني. تُوفِّي في ٢٥ من ربيع الأول سنة ١٣٣٧هـ.

(٢) عفوًا. (الناظم).

أُسائلُ عنهـا أهلَهـا فتُجيبُنـي   خلتْ عن أنيسٍ ليس داعٍ وسامعُ
تَراها وقد كانتْ بَهيجًا رَواقُها   مَرابعُ عِيدٍ للظباءِ مَراتعُ
وما مُونقاتُ الرَّوْضِ تَبْسِمُ زَهرُها   وتَفْتَرُّ إلا أنَّهنَّ مَصارعُ
تَرى جَثَواتٍ من ترابٍ تَضمَّنَتْ   كرامًا وقَتْهُم في الحِجالِ البراقعُ
وقائلةٍ ما بالُ دمعكَ طاغيًا   وما لحجاجِ العينِ مَجْراهُ واسعُ
وما لنَضارِ الخدِّ زالَ رُواؤُهُ   علاهُ بَهارٌ فَهْوَ أَصْفَرُ فاقعُ
وما لغليلِ الصدرِ جاشَ أزيزُهُ   وأنفاسُهُ حَرَّى دِراكٌ سَواطعُ
وما لفُؤادي طائرًا مثلَ ريشةٍ   بأرضِ فلاةٍ قلَّبَتْه الزَّعازعُ
فقلتُ دَهاهُنَّ مُصابٌ لوَ أنَّهُ   أصابَ جبالًا هُدَّ منها المَصانعُ
مضى شيخُنا عبدُ الرَّحيمِ مُسارعًا   لتسليمِ أمرِ اللهِ والقلبُ خاشعُ
مضى عَجِلًا مُسْتَبْشِرًا مُتَهَلِّلًا   كضيفٍ كريمٍ لم تَرُعْهُ الرَّوائعُ
دعَاه فلبَّى راغبًا في لقائِهِ   وأبْدى حنينًا أضْمَرَتْه الأضالعُ
تَلقَّاهُ ريحانٌ وروحُ بِشارةٍ   وربٌّ كريمٌ غيرُ غضبانَ واسعُ
تَربَّى بحِجْرِ الدِّينِ والرُّشْدِ واغْتذى   لبانَ التُّقى إذْ أَرْضَعَتْهُ المَراضعُ
له قَدَمٌ في الزُّهدِ صادقةُ الخُطى   ومَنْطِقُ صدقٍ فهْوَ بالحقِّ صادعُ
إِصابةُ رأيٍ في فَراسةِ مُؤمنٍ   وَعى قَلْبُه ما لم تُحِطْهُ المَسامِعُ

صَلابَـةُ دِيــنٍ لا تَـراهُ مُحابِيًـا إذا نـازعَ النَّهـجَ القويـمَ مُنـازعُ
لَياليـهِ سَـهْرًا[1] تَنْقضـي ونهـارُه إلى السَّبْقِ في الخيراتِ جُهدًا يُسارعُ
وكان إمامًـا لا يُجـارَى وقُـدْوةً إليـه إذا قالــوا تُشيرُ الأصابعُ
مُهابًـا عليـه هَيبـةُ الحقِّ لا تـرى يَحـارُ لديـهِ بالـكلامِ المَصاقِـعُ
حييًّـا كريمًـا غافِـرًا ومُسـالِمًا[2] تَقيًّـا نَقيًّـا مــا دَنَتْـهُ المَطامِـعُ
لهم خَلَفٌ فيه إذا حاولوا الهُدى عن السَّلفِ الماضينَ للحقِّ رافعُ
هـمُ القُطْـبُ أَمْـدادُ الإلـهِ وقاسـمٌ إمامُ الهدى نُورٌ من العلمِ ساطعُ
ومُرشـدُنا غَـوثُ الأنـامِ رشيدُنا صَفَتْ وجَرَتْ للدِّين منه المَشارعُ
تَخَلَّـفَ عنهـم إذ مَضَـوْا لسبيلِهم تَخَلُّـفَ أَمْـواهٍ حَوَتْهـا المَنابِـعُ
مَحَـطُّ رِحـالِ الطَّالبيـنَ فِنـاؤُه يَحـومُ علـى مَغْنـاهُ دَانٍ وشَاسِـعُ
يَحُفُّونـه مِثْـلَ النجـومِ إذا اجْتَـدَوْا وبينَهـم بـدرٌ مـن الرُّشْـدِ طالِـعُ
رُزِئْنـا بِمَـن كُنَّــا نَـرودُ بظلِّـه مَعـاذًا فيَخْـزَى كاشِـحٌ ومُخـادِعُ
وكُنَّـا نُزَجِّـي مُدْلِجيـنَ ركِابَنـا قَلاقِـلَ عِيـسٍ والعُيـونُ هَواجِـعُ
لِنَغْنَـمَ مَـن رُؤيـاهُ يُمْنًـا ونَعْتلـي ويَفْـرَعُ منَّـا كاهـلُ المجـدِ فـارعُ

(١) وجدًا. (الناظم).

(٢) مسامحًا. (الناظم).

ونُسْقَى كُؤوسًا مُترعاتٍ من الهُدى … لشاربِها تَروي دبيبًا أَشاجعُ
وتَطْهُرُ أخلاقٌ وتَزْكى خَلائِقٌ … ويَخْلَعُ عن أوصافِها النَّفسَ خَالعُ
وتَحيى قلوبٌ زائغاتٌ عن الهُدى … وتُجْلى صدورٌ دَنَّسَتْها النَّوازعُ
فخَلَّفنا كالشَّاءِ غابَتْ رُعاتُها … بليلٍ مَطيرٍ والوِهادُ مَسابعُ
فصَبْرًا على الأيَّام صَبْرًا فإنَّها … تَحولُ وما يُدريكَ ما اللهُ صانعُ
لعلَّ انبِلاجَ الصُّبحِ حانَ لبائِسٍ … يُقاسي هُمومًا ليلَهُ ويُدافِعُ
لعلَّ الذي فوقَ السَّمواتِ عَرْشُهُ … يُجَمِّعُ شَمْلًا وهْوَ للشَّمْلِ جامعُ
لعلَّ لَحاقًا بالخِيارِ يُغيثُنا … ويُدْرِكُ شَأْوَ القومِ أَحْدَبُ ظَالِعُ
إلَهي فَبَرِّدْ مَضْجَعًا قد ثَوى به … بجاهِ النبيِّ المُصطفى وهْوَ شافعُ
وأَسْبِغْ عليه منك رَوْحًا ورحمةً … وأَمْطِرْ رضاءً لا يَزالُ يُتابعُ
وأَسْكِنْهُ في روضِ الجِنانِ مُخَلَّدًا … بها غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ ومَطالِعُ
زَرابِيُّها مَبْثوثةٌ وقُطوفُها … دَوانٍ تَراها كلَّ حينٍ تُسارعُ
بِكُثْبانِ مسكٍ يَجْتلي عندَ رؤيةٍ … فلا السِّتْرُ مَسْدولٌ ولا الضَّيمُ مانِعُ
وصَلِّ على مِرْآةِ رَحْمَتِكَ الذي … شفاعَتَه تَرجو عُصاةٌ[1] وطائِعُ

(١) عصى. (الناظم).

وصَلِّ عليه ما دعَاكَ مُوَحِّدٌ ... وناجَاكَ في الظلماءِ أَفْقَرُ[1] ضَارعُ

48 وفازَ برأسِ الوصلِ واستمَع النَّدى ... هنالكَ إكرامٌ وطابَ المَضاجِعُ

٦ ١٣٣١

١٣٣٧

(١) أشعث. (الناظم).

أبياتٌ أنشأتُها في رثاءِ الحِبْ القديمِ الفاضلِ الجليلِ والعالمِ النبيلِ مولانا غلام رسول[1] المدرِّس بدارِ العلومِ الديوبنديةِ

أمطرَ اللهُ عليه شآبيبَ رحمتِهِ، مُذَكِّرًا إخواني بالموتِ وأهوالِه، وما بينَ أيديهم من القبرِ والمحشرِ، وحاثًّا لهم على الاستعدادِ لسفرِ الآخرةِ، وفَّقني اللهُ وإيَّاهم للأعمالِ الصالحةِ، والتَّنصُّلِ من أدناسِ الدُّنيا الدَّنيَّةِ، وكانتْ وفاةُ الشيخِ المرحومِ ليلةَ الجمعةِ لسبعةَ عشرَ من محرَّمِ الحرامِ سنةَ سبعٍ وثلاثينَ وألفٍ وثلاثِمائةٍ.

[البحرِ الطويلِ]

أَقيمُوا على الحَبْرِ الجليلِ مَآتِمًا ١ وأذْروا ولا تُبْقوا دُموعًا سَواجِمَا

وبَكُّوا فما يُغني البُكاءُ لفاقدٍ ولكنْ دموعُ العينِ تُطْفِئُ ضَارِمَا

على ماجدٍ سَهْلِ العَريكةِ باذلٍ كريمِ الْمُحيًا ضاحكِ السِّنِّ باسمَا

غُلامِ رسولِ اللهِ ثم مُحِبِّه يُتابعُ آثارَ الهُدى والمَعالِمَا

(١) هو العالم الجليل، شيخ العلوم العقلية، الشيخ غلام رسول الهزاروي، التحق بدار العلوم ديوبند سنة ١٢٩٧هـ وتخرَّج فيها. وفي سنة ١٣٠٢هـ تم تعيينه مدرسًا بدار العلوم وعكف على هذه المهمة لمدة ٣٠ سنة. كان مُتبحرًا في العلوم العقلية والنقلية، وتخرَّج على يديه آلاف من العلماء، منهم: الإمام محمد أنور شاه الكشميري. تُوفِّي بمرض إنفلونزا الذي انتشر في دار العلوم في تلك السنة. (١٣٣٧)

قَضى عُمْرَهُ في الخير كَهْلًا ويافِعًا … وعاشَ مَدى الأيّامِ سِلْمًا مُسالِمًا
وكان مُحِبًّا للعلـوم وأهلِهــــا … مُقيمًا على نَشْرِ المَعارفِ دائِمًا
قَنوعًا مِن الدُّنيا بمَيسورِ عَيْشِهِ … حَريصًا على الخيرات صَبًّا وهائِمًا
نَقيًّا عن الأوساخ يَدْحو مَكارِمًا … ولم يَكُ سَبّابًا ولا مُتشاتِمًا
صَفوحًا عن الزَّلّات لا يَسْتَفِزُّهُ … سَفيهٌ ولا مَنْ لَجَّ في الطَّعْنِ شاتِمًا
حوى صدرُه كَنزَ العلومِ وصفوَها … غَنيًّا بما يُوعيه ليس الدَّراهِمَا
هو الغيثُ إلا أنّه البحرُ زاخرًا … هو الليثُ إلا أنّه السيفُ صارِمًا
هو الطَّوْدُ إلا أنّه غيرُ مُنْقَلٍ … هو الرَّوضُ إلا أنّه الزهرُ باسِمًا
أقامَ بدارِ العلمِ دهرًا ولم يَكُنْ … إلى غيرِها من زهرةِ المالِ شائِمًا
قضيْنا به دهرًا طويلًا تَنادُمًا … يُذَكِّرُنا ذِكراهُ عَهْدًا تَقادَمَا
فيا جَبَلًا كيف اهْتَزَزْتَ وكيف ما … حُمِلْتَ على الأعناقِ خِفًّا وناعِمًا
أمَعْشَرَ إخواني رُزِئْتم لفقدِهِ … بِمَنْ كان يَحْشو السمعَ دُرًّا إذا هَمَى
لقد فاتَكُم منه علومٌ غريزةٌ … نفائِسُها غُنْمٌ لِمَنْ كان غانِمَا
غريبًا عن الأوطان غُيِّبَ في الثَّرى … وجاورَ مِيزابَ الهِدايةِ قاسِمًا
قضى في اغترابٍ نَحْبَه ودِراسةً … فحازَ به فضلَ الشهادةِ سالِمًا
وقُلْتُ بلا رأسِ الجَوى عامَ نَقْلِهِ … فواهًا له أجرٌ يُضاعَفُ دائِمًا

٣ … ١٣٤٠

١٣٣٧

التذكير والتحذير

مضى قبلَنا مَن كان يُخشى فِراقُهم ۝ ومَن لهمُ كنَّا نَفُلُّ الصَّوارِمَا
وكانوا لنا إلْفًا[1] فبانُوا ولا قِلًى ۝ ونحن على الآثار نَقفُو المَناسِمَا
فما لحياةٍ بعدَهم من لَذاذةٍ ۝ ولا طِيبُ نومٍ يطرقُ المرءَ حالِمَا
ولا بُدَّ للحيِّ الذي طال عمْرُه ۝ من الشُّربِ من كأسٍ كريهٍ مَطاعِمَا
هو الموتُ لا يُبقي لجَلْدٍ جلادةً ۝ يَحُصُّ الخَوافي ثم يُودي[2] القَوادِمَا
هو الموتُ مُرٌّ طَعمُه ومَذاقُهُ ۝ يُخَيِّبُ آمالًا ويُرْدي[3] الدَّعائِمَا
هو الموتُ لا يَرثي لباكٍ ولا شَجٍ ۝ ولا لأنينِ الثُّكْل يَرْحَمُ واجِمَا
هو الموتُ ما نَجَّى الشجاعةُ خالدًا ۝ حَنيفًا ولا نَجَّى السخاوةُ حاتَمَا
هو الموتُ لم يترُكْ ليُوثًا حَوارِدًا ۝ بغَابٍ ولم يترُكْ نُسورًا قَشَاعِمَا
هو الموتُ إلا أنَّه خيرُ واعظٍ ۝ يُرَوِّعُ مَنهومًا ويُوقِظُ نائِمَا

(١) كهفًا. (الناظم).

(٢) يوهي. (الناظم).

(٣) يهدُّ. (الناظم).

ولكنَّــه جِسـرٌ لوصْــلِ أحبَّـةٍ ... إذا كان حُـبُّ اللهِ في القلـب قائِمَـا

أَخِـلَّايَ مَـن يُحْبِـبْ ويَشْـتَقْ لقاءَه ... تَلَقَّـاهُ رِضْـوانٌ يُرحِّـبُ قادِمَـا

أَخِـلَّايَ مَغزانـا بعيــدٌ وزَادُنـا ... قليـلٌ وحُمِّلْنـا ثِقـالًا مَغارِمَـا[1]

هنيئًا لك الإفطارُ في روضةِ الرِّضى ... إذا كنتَ في الدُّنيا عن اللهو صائِمًا

أَخِـلَّايَ هُبُّــوا للـرَّواحِ عَشِـيَّةً ... وكونوا على مَتْنِ الطريقِ مَجاثِمًا

تَمادى بكَ الأيَّامُ في اللهو والخَنى ... وعُمِّـرْتَ مُختالًا فَخورًا وظالِمًا[2]

وعُمِّـرْتَ دهـرًا لـو أردتَ تذكُّـرًا ... تذكَّـرْتَ أو خيـرًا تـزوَّدْتَ حازِمَـا

ولكنَّمـا غَرَّتْـكَ بـالله للعَمـى ... أمانِـيُّ أحـلامٍ ويَغْـرُرْنَ عالِمَـا

فكـم نـازلاتٍ قرَّعَتْـكَ ولـم تكـن ... لِتَصغـى إليهـا مُعرِضًـا مُتصامِمَـا

وكـم حادثـاتٍ أَيْقَظَتْـكَ وربَّمـا ... مَـرَرْتَ عليهـا شامِتًا ومُصارِمَـا

وكـم تَتَمنَّـى[3] في الحيـاة وإنَّمـا ... بقـاؤُك والآمـالُ مـاضٍ مَداهُمَـا

وكـم تَجْتنـي منهـا ثمـارًا لذيـذةً ... وتَرْمي وراءَ الظهرِ أُخراكَ زاعِمًا

وقـد صَيَّـرَتْ أعمالُنـا وذُنوبُنـا ... فُـؤادًا كمِثْـلِ الليـلِ أسودَ فاحِمَـا

---

(١) ماتما. (الناظم).

(٢) وطالما. (الناظم).

(٣) تتعنى. (الناظم).

فلا العُرْفُ معروفٌ ولا النُّكْرُ مُنكرٌ وما الـرُّزْءُ إلا أنْ نُحِـلَّ المَحارمَا
وكيـف تلـومُ النـاسَ عنـدَ مَزَلَّـةٍ وأنـت بهـا أَوْلـى إذا كنـتَ لائِمَـا
ومـا هـيَ إلا مُسْـتَظَلٌّ لراكـبٍ يُجِـدُّ مَسـيرًا للمنــازل عازِمَـا
فهـلْ ذاكَ قبـرٌ روضـةٌ أو حُفيـرةٌ من الـرَّوحِ أو مـن لَهْبِهـا مُتراكِمَـا
ويأتـي لمثــواهُ نكيــرٌ ومُنكَــرٌ يَـزورانِ للتَّسْـآلِ مَيْتًـا ومـا هُمَـا
ألا واذْكروا هَـولًا لموقفِ مَحْشرٍ يَصَيِّـرُ رِغديـدًا أُسـودًا ضَراغِمَـا
وتُعْـرَضُ أعمـالٌ وتُبْلـى سَـرائرٌ ٣٠ ويُكْشَفُ في عَيْنَيْكَ ما كنتَ كاتِمَا
أعِـدُّوا لـه زادًا ومـا الـزَّادُ نافعًـا ٣١ إذا لـم تكـن تَقْوى الإلهِ مُلازِمَا[1]

---

(١) منادما. (الناظم).

في رثاء المولوي عبد الباقر خان
من عظماء حيدر آباد دكن،
أسكنه الله في بحبوحة جنانه

[البحر الكامل]

ما بالُ عينِكَ كالسحابِ الماطرِ ... أوْ ما لِقلبِكَ في جَناحَيْ طائرِ
أَعَراكَ همٌّ أو نَبا بكِ مَضْجعٌ ... أم غالَ صبرَكَ حادثٌ في غابرِ
نبأٌ أتانا أنَّ حِبًّا قد قضى ... ذاك النبيلُ الشَّهمُ عبدُ الباقرِ
عَلَمُ الفضائلِ والفَواضلِ والحِجى ... جَمُّ المَناقبِ نعمَ ذُخْرُ الذَّاخرِ
سَمْحُ الخلائقِ مُعْرِضٌ عن مُذْنبٍ ... رَحْبُ الفِناءِ لطارقٍ أو عابرِ
طَلْقُ الجبينِ له جمالٌ ظاهرٌ ... ولسانُ صدقٍ في كمالٍ باهرِ
رُزِقَ المشيبَ ولم تَنَلْهُ مَساءةٌ ... ومضى الشبابُ بثوبِ مجدٍ طاهرِ
وَلَهُ بتنزيلِ الحميدِ صَبابةٌ ... تَربو على الأيّامِ ليس بفاترِ
قد عَمَّرَ الأوقاتَ في ترتيلِهِ ... بخشوعِ قلبٍ أو لسانٍ ذاكرِ
حَفَّتْ به من أهلِ دينٍ عُصبةٌ ... يَتلونَهُ بتعاوُرٍ وتَذاكُرِ

بِتْنــا زمانًــا في محافــلِ أُنســهِ … مــن بيــن مُسْــتمعٍ وآخــرَ ســامِرِ

تــركَ الأحبَّــةَ في عَنــاءٍ فــادحٍ … ومضــى لمَرضــاةِ الكريــمِ الغافــرِ

كــم مــن حفــيٍّ عنــه مُخْتــصٍّ بــه … يُــذري دموعًــا مثــلَ غيــثٍ هامِــرِ

يمشــي حَفافَــي نَعشِــه مُتَباكيًــا … وَجْــدًا بــه مــن دارعٍ أو حاسِــرِ

أَسفي على الأيَّام كيف تَبدَّلَتْ … ضُــرًّا وبُؤْسًــا بعــدَ عيــشٍ زاهــرِ

كيف السُّلُوُّ ولا سُلُوَّ وقد أتى … مــا لا يَــدانِ بــه لجَلْــدٍ صابــرِ

عَجبًا لأيدي الناسِ كيف تحمَّلوا … طَــوْدَ الفضائــلِ والفخــار الســائرِ

أم كيــف غُيِّــبَ بالتــرابِ مُبَرْقَعًــا … وَجْــهٌ مضــيءٌ مثــلُ بــدرٍ ســافرِ

أو كيف غــاضَ ومــا سَــمِعْنا مثلَــهُ … بحــرُ الكرامــةِ والســماحِ الزاخــرِ

٢٠ يــا لِلزَّمــانِ ويــا لَــه مــن مُفْــزِعٍ … بالنائبــاتِ ويــا لَــهُ مــن كاشِــرِ

يــا ربِّ فاغْفِــرْهُ وكــن حِــرْزًا لــه … عــن كلِّ مَحــذورٍ وأكْــرَمَ ناصِــرِ

أَرَّخْتُ عامَ النقلِ عن وجه اللِّقا … شَــرفُ الجِنــانِ مَقــامُ عبــدِ الباقــرِ

١٣٣٦

٢٣ ومــن الســنينَ العِيســويَّةِ عامُــه … غُــرَفُ الجِنــانِ مَنــامُ عبــدِ الباقــرِ

١٩١٨

وأيضا فيه

[البحرِ الكاملِ]

رُزْءٌ يجِلُّ عن السُّلوِّ فطالَا ... خَطْبٌ أَلَمَّ فزَعْزَعَ الأَوْصالَا

حَدَثٌ تَقَعْقَعَتِ الصدورُ لوقْعِهِ ... ثَلَّ العروشَ فزُلْزِلوا زِلزالَا

فُتَّتْ به الأكبادُ وانصدعَ الحَشا ... لَمَّا رَأَوْه وشاهدوا الأَهْوالَا

عبدُ العزيزِ[1] له حنينٌ دائمٌ ... يُمْسي ويُصْبِحُ ساهِرًا مِعْوالَا

وكذاكَ عبدُ الباسطِ[2] الحَزِنُ الشَّجي ... يَبكي غُدُوًّا هائِمًا آصالَا

أوَ ما سَمِعْتَ بأنَّ طَوْدًا قد هوى ... كهفُ اليتامى والأراملِ زالَا

مَن كان يَخْفِضُ للضيوفِ جَناحَهُ ... دأْبُ المُعيلِ إذا يَرُبُّ عِيالَا

يَقضي لُبانةَ مَنْ يلوذُ ببابِهِ ... إذ كان رِفْدُ المُتْرَفِينَ سُعالَا

ويَنوءُ بالعِبْءِ الثقيلِ لجارِهِ ... وكذا الكريمُ يُحَمِّلُ الأثقالَا

كانتْ ركائِبُنا تَغُذُّ مسيرَها ... تَطْوي إليه فدافِدًا ورِمالَا

---

(١) فرزند اصغر مولوي صاحب مرحوم. (الناظم). قلت: أي: الابن الصغير للشيخ المرحوم.

(٢) فرزند اكبر مولوي صاحب مرحوم. (الناظم). قلت: أي: الابن الكبير للشيخ المرحوم.

فــإذا أَنَخناهــا نَزَلْنــا مَنْــزِلًا   رَحْبًــا فســيحًا مَطْعَمًــا ورُلالا
ما الفَـرْخُ أَخْلَـمُ منه كلّا والّـذي   سَـمَكَ السـماءَ ووتَّـدَ الأَجْبـالا
وإذا تعالـى في النــديِّ كلامُــه   يَكْسـو المحافـلَ بهجـةً وجَمـالا
وإذا توغَّـلَ في العلـومِ تَـرى لـه   قَلبًـا عَقـولًا مُتقِنًـا مِجْـوالا
وإذا تَبَـرَّزَ في الحِجـاجِ مُحـاوِرًا   خَـرَّ الخصـومُ لوجْهِهـا إجْـلالا
سُبحانَ ربِّ العـرشِ يُؤتـي رِفعـةً   مَـن شـاء أو يهـبُ الصفـيَّ كَمـالا
بَـوَّاهُ ربُّ الخلـقِ في رِضوانِــه   وحَبـاهُ روضـاتِ الجِنـانِ ظِـلالا
وسَـقاهُ مَختـومَ الرحيـقِ بفضلِـه   كاسًـا دِهاقًـا طاهِـرًا وحَـلالا
وكسـاهُ مِـن ثـوبِ البهـاءِ كرامـةً   حُلَـلًا تَـكِلُّ لهـا العيـونُ تَـلالا
وإذا أردتَ سِـني الوفـاةِ فقلْ لهـم   وافَــى وأَوْفى نَضـرةً وجَمـالا

١٣٣٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

في ذمِّ مَنْ تَنبأَ في بَعضِ بلادِ الهندِ عليه ما يَستحِقُّه، وبَيانِ تراكُمِ الفِتَنِ على الإسلامِ وأهلِهِ

[البحرِ البسيطِ]

ما بالُ عينِكَ بالعَبَراتِ لا تكِفُ ... وما لِقَلْبِكَ لا هَمٌّ ولا أَسَفُ
وكيف ترقُدُ طُولَ الليلِ في دَعَةٍ ... ولا يَروعُكَ أمرٌ دونَهُ تَلَفُ
أمَا تَرى الأرضَ مُسْوَدًّا مَعالِمُها ... وأَدْرَكَ البدرَ واسْتولى به الكَلَفُ
والجَوُّ مُحْلَوْلِكُ الأرجاءِ مُنتَقِعٌ ... والشمسُ من ظُلمةِ الأرجاسِ تَنْكَسِفُ
كذا إذا فشَتِ الفحشاءُ في مَلأٍ ... يُودي البَريُّ مع الجاني ويَنَّصِفُ
رَزِيَّةٌ فَجَعَتْنا لا يَدانِ بها ... تكادُ منها فَقارُ الظَّهرِ تَنْقَصِفُ
عمَّ البلاءُ وشاعَ الجهلُ وانْقشعتْ ... سحائبُ الفضلِ لا ظِلٌّ ولا وَكَفُ
وأصبحَ الناسُ في عمياءَ مُظلمةٍ ... لا يَهتدون لمعروفٍ ولا عَرَفوا
إذا علتْ هَيْعةٌ من مُبْطِلٍ تبِعَتْ ... لها الرجالُ فلا واعٍ ولا تَقِفُ
فهَمُّهُمْ لاتِّباعِ الزيغِ مُتَّفِقٌ ... ورأيُهم في قَبولِ الحقِّ مُختلِفُ

إذا رَأَوْا مُنكـرًا مالُــوا لوجْهتِـهِ ... ولا يُنَهْنِهُهُـمْ دِيــنٌ ولا شَـرَفُ

تَزَعْزَعَتْ جَنَبَاتُ الأرضِ عن حَدَثٍ ... شُـمُّ الجبالِ لـه تَهـوي وتَنْتَسِـفُ

بِقَادِيـانَ تَنَبَّــا غيـرَ مُكْتَـرِثٍ ... مَن جاءنا لِفُضولِ القولِ يَحْتَرِفُ

دعا إلى الكُفرِ والإلحادِ حيثُ دعا ... إلـى نُبَوَّتِــه يَهْـذي ويَقْتَـرِفُ

أبْدى من الزُّورِ والبُهتان ما عَجَزَتْ ... عنه الدَّجاجِلَةُ الماضون والخَلَفُ

أَوحـى إليــه شـياطينٌ تُلاعبُـه ... وزَيَّنوا باستراقِ السَّمعِ ما خطفُوا

وكان مـن إفْكِـه أنْ جـاء يُخْبِرُنـا ... أنَّ النُّبـوَّةَ مَنْشـورٌ لهـا الصُّحُـفُ

وما درى المرءُ جَهْلًا أنَّها خُتِمَتْ ... وأنَّهـا بعـدَه سُـدَّتْ لهـا الغُـرَفُ

بالباطنيَّـةِ حَـذْوَ النَّعـلِ قـد شـبهُوا ... والخُرَّمِيَّـةِ لا يأْلُــون إذ حَلفُـوا

صالُوا على الدِّينِ رامُوا تحتَ أَلْوِيَةٍ ٢٠ ... بـذاكَ في مِلَّـةِ الإسلامِ مـا عُرِفُـوا

كانوا على الدِّينِ والإسلامِ في ملأٍ ... ولـو خَلا مُسلمٌ في جمعِهِم خَطَفُوا

أَلْقَوْا على الكفرِ سَتْرًا من شعائرِنا ... علـى المنائـرِ بالتأْذيـنِ إذ هتفُـوا

يُعَلِّمـون كتــابَ اللهِ صِبْيَتَهُـم ... و يَخْدعـون إذا مـا نابَهُـم شَـظَفُ

يـا ليـتَ صاعقـةً حلَّـتْ بدارِهِـمُ ... وليتَهـم هلكُـوا بالرَّجْـم أو خُسِفُوا

فـلا تَظُنَّـنْ لهـم خَيْـرًا أُريـدَ بهـم ... إنْ طـال مكْثُهُـمُ أو عَمَّهُـم تَـرَفُ

على شَـفا حُفْـرَةٍ تَهـوي بصاحِبِهـا ٢١ ... إلـى جحيـمِ اللَّظـى هـارٍ بـهِ جُرُفُ

قصيدةٌ في التقريظ على حاشيةِ الكنز

يمدحُ فيها الفقهَ ويُحرِّضُ على تعليمِهِ، ويُثني على «كنزِ الدقائقِ» وحاشيتِهِ ومُحَشِّيها[1].

[البحرِ البسيطِ]

يا رائدَ الفقهِ والفتوى على الطَّلَبِ ١ صَفْوَ العلومِ بلا كَدٍّ ولا تَعَبِ

وهائمًا في قِفارِ الحزنِ ليس له هادٍ يُبَلِّغُه للوِرْدِ والقَرَبِ

وغائصًا في بحارِ الفِكرِ تَقْذِفُهُ طَورًا إلى نَصَبٍ طَورًا إلى وَصَبِ

عليكَ بـ«الكنزِ» لا تُهمِلْهُ إنَّ له نورًا وفضلًا على الأسفارِ والكُتُبِ

عَمٌّ فوائِدُهُ جَمٌّ فرائِدُهُ مَن حازَهُ فازَ بالأقصى من الأَرَبِ

وكان من عَذْبِ مَعناهُ ومَبْسَمِهِ ضَرْبَ المِثالِ ولا كالشَّهْدِ والضَّرَبِ

يَفْتَرُّ عن لُؤلُؤٍ رَطْبٍ وعن بَرَدٍ وعن أقاحٍ وعن طَلْعٍ وعن حَبَبِ

لكنَّه لم يكُنْ سَهْلًا لآخِذِهِ إيجازُ ألفاظِهِ يُلقيكَ في التَّعَبِ

كانتْ معانيهِ أغلاقًا مُغَلَّقَةً سَدًّا بلا نَفَذٍ رَدْمًا بلا نَقَبِ

---

(١) محشيها، أي: العلامة المفتي إعزاز علي الأمروهي.

مـا رامَهـا الفكـرُ إلا سـدَّهُ حَسَـرٌ ... عـن نيلِ ما أُودِعَتْ فيه من النُّخَبِ
فاسْتَسْهَلَتْ وَعْرَها الأنظارُ واكْتَشَفَتْ ... مـا كان مُخْتَفِيًـا في بُرْقُـعِ الحُجُـبِ
وفَسَّـروها بإبـداعِ البيـانِ كمـا ... تَجلُـو الوضيئـةَ مِـرْآةٌ لمُرْتَقِـبِ
أمَا ترى «البحرَ»[1] قد راقتْ مناهلُهُ ... و«النَّهْرَ»[2] فاقَ على الأمطارِ والسُّحُبِ
والزَّيْلَعِيُّ تولَّى «كَشْفَ»[3] مُعْضِلِهِ ... و«الفَتْحُ»[4] أَعْطى مَفاتيحًا الذي سَقَبِ
كانتْ مُحَجَّبَةَ الأَسْتارِ فاجْتُلِيَتْ ... على مَنابرَ من مِسْكٍ ومن ذَهَبِ
ثـم اسْتطالتْ يـدُ التُّجَّارِ تَطْمِسُـهُ ... أنـوارُه وتُريـكَ الـدُّرَّ في السُّـحُبِ
غـارتْ منابعُـهُ حالـتْ مطامِعُـهُ ... لا ماءَ فيه ولا مَرْعى لـذي سَغَبِ

---

(١) «البحر الرائق شرح كنز الدقائق» لابن نجيم زين الدين المصري، المُتوفَّى ٩٧٠هـ والكتاب مشحون بالمسائل الفقهية، والأدلَّة الأصولية.

(٢) «النهر الفائق بشرح كنز الدقائق» لابن نجيم عمر بن إبراهيم المصري، المتوفى ١٠٠٥هـ أخ وتلميذ صاحب «البحر الرائق»، وقال المحبي في «خلاصة الأثر»: «ضاهى به كتابَ أخيه «البحر الرائق» لكنه أربى عليه في حسن السبك للعبارات والتنقيح التام». وقيل: «لمَّا وصل مُؤلِّفه إلى فصل: الحبس من كتاب القضاء، حبس عن إتمامه».

(٣) ««تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق» لفخر الدين عثمان بن علي الزيلعي، المتوفى ٧٤٣هـ مدفونٌ في القاهرة، وقد زرت ضريحه، وهو شيخُ صاحب «نصب الراية» جمال الدين الزيلعي، وخالُه، وقد أفادني بذلك شيخنا المُحقِّق الجليل الأستاذ سائد بكداش، وأفاده بذلك الشيخ العلامة محمد عوامة، وأفاده بذلك الإمام عبد الفتاح أبو غدة، وأفاده بذلك شيخ الإسلام الشيخ زاهد الكوثري.

(٤) «فتح رب العالمين على شرح منلا مسكين» لأبي السعود محمد بن علي الحسيني المصري، المُتوفَّى ٨٦٢هـ والحاشية هذه مشحونة بالمباحث المُفيدة والنقول العزيزة.

حتى اغتنى أَحْسَن[1] الأعلامِ أَلْبَسَها مَكانَ خُلقانِها بِيضًا من العصَبِ
حَلًّا وكَشْفًا وإيضاحًا وتَنْحِيَةً عن وجهِهِ كَدَرَ الأغلاطِ والرِّيَبِ
وكُنْتَ إذْ ذاكَ تِلْوَ الشيخِ مُجْتهدًا في بَسْطِ مُجْمَلِهِ نَقْلًا عن الكُتُبِ
فصارَ من حُسْنِ مَرْآهُ ومَطْلَعِهِ كالبدرِ في ظُلَمٍ والشمسِ في السُّحُبِ
لكنَّه كان من تَطْويلِ تَحْشيةٍ مُحَجَّبًا قَصُرَتْ عنهُ يدُ الطَّلَبِ
والناسُ مالُوا إلى نَيْلِ المَرامِ على قُرْبِ التَّمامِ بلا عِيٍّ ولا نَصَبِ
فقامَ إذْ ذاكَ إعْزازُ العَلِيِّ[2] كما يَقومُ أَهْلُ الحِجَى والدِّينِ والحَسَبِ
مُشَمِّرًا حاسِرًا عن رُدْنِ ساعِدِهِ مُشَنِّفًا طرفًا في أُذْنِ مُرْتَغِبِ
مُسْتَخْرِجًا نُكَتًا عن مكمنٍ حَرِجٍ مُذَيِّلًا ببديعٍ منه مُنْتَخَبِ
مُسَهِّلًا حِفْظَهُ فَهْمًا لطالِبِهِ مُنَزِّلًا خَبْأً عن مُرْتَقًى صَعِبِ
فاللهُ يقبلُ ما عانى مُكابَدَةً سَهْرَ اللَّيالي وجِدًّا أيَّما عَجَبِ

---

(١) إشارة إلى اسم حضرة العلامة الفقيه الجامع لأشتات العلوم مولانا محمد أحسن النانوتوي قدّس الله سرَّه. (ناظم)

قلت: وهو الشيخ الفقيه محمد أحسن بن لطف علي بن محمد حسن الصديقي النانوتوي الحنفي، المُتوفَّى ١٣١٢هـ له حاشية مطبوعة على «الكنز».

(٢) المراد به حميد الخصائل جامع أشتات الفضائل الفقيه الأديب مولانا إعزاز العلي، المُدرِّس في دار العلوم ديوبند.

وزادَهُ منه عِلْمًا نافعًا ورضًى ... ونالَهُ رُتَبٌ فاقَتْ على رُتَبِ

فهَزَّ ذلكَ من عِطْفي ونَشَّطَني ... ٣٠ ... في طَبْعِهِ نَفْعُ أجيالٍ ذَوي قُرَبِ

وقُمْتُ بالجِدِّ في تَحْسينِ صُورتِهِ ... بالقاسِمِيِّ[1] فما أَحْلاهُ في النَّسَبِ

فتَمَّ بالحَمْدِ والتَّوفيقِ مُنْتَجِهَا ... رِئيًا ومَرْأى على مَرْمَى ذَوي رَغَبِ

فهاكَ منّا عَروسَ الحُسْنِ صِيغَ لها ... حلًّا من الدُّرِّ والياقوتِ والذَّهَبِ

قدْ زانَها حُلَلٌ ناهيكَ من حُلَلٍ ... من وَشْيِ دِيباجِها تَزْهو على الشُّهُبِ

وهاكَ رَوْضًا أَريضًا فائحًا عَبِقًا ... تَسلوكَ ريَّاهُ عن هَمٍّ وعن شَجَبِ

طابتْ روائحُها راقتْ مناهلُها ... عُيونُها بينَ مُنْهَلٍّ ومُنْسَكِبِ

واللهَ أسألُ تَعميمَ الثوابِ بهِ ... إيَّايَ والناسَ من عُجْمٍ إلى عَرَبِ

فإنَّه فارِجٌ للهمِّ دافِعُهُ ... ٣٨ ... وإنَّه كاشِفٌ للغمِّ والكُرَبِ

تمت

(١) أي: رئيس دار العلوم ديوبند، العلاّمة الحافظ محمد أحمد ابن الإمام الحجّة محمد قاسم النانوتوي.

ملحق

قصيدة

في رثاءِ المولى الهُمامِ الحَبْرِ العلَّامة مولانا الحاجِ الحافظِ محمد أحمد ناظرِ دارِ العلومِ الديوبنديةِ ومديرِها[1]، وماتَ قدَّسَ اللهُ سرَّهُ غريبًا، وكان ارتحلَ لبعضِ حوائجِ دارِ العلومِ المذكورةِ فمَرِضَ في حيدرآباد، فتعجَّلَ في العودةِ إلى وَطْنِهِ ولبَّى داعيَ الموتِ، ولم يَفُزْ بالوصولِ إلى الوطنِ[2].

لجامع القصائد المفتي إعزاز علي الأمروهي غفر الله له

[البحرِ الوافرِ]

نَعى النَّاعونَ شَيْخًا ذا حِفاظٍ ١ جَليلًا ماجِدًا بالفضلِ أحْرَى

نَبيلًا فاضِلًا شَهْمًا ذَكِيًّا مُطيعًا ربَّهُ نَهْيًا وأَمْرًا

سُلالَةُ قاسمِ الخَيْراتِ نَدْبًا وَفِيًّا حائِزًا أَجْرًا وذُخْرًا

صَبورًا في المَصائبِ والرَّزايا وفي السَّراءِ كانَ يَزيدُ شُكرًا

---

(١) رأيت من المناسب إلحاق هذه القصيدة في نهاية هذا الديوان بسبب العلاقة الحميمة والصلة القوية بين حضرة مولانا حبيب الرحمن وأستاذنا الهمام حضرة مولانا الحافظ محمد أحمد. (الناظم: المفتي إعزاز علي الأمروهي).

(٢) تُوفِّي بنظامآباد، ودُفن في المقبرة التي تسمَّى بخطة الصالحين بحيدرآباد.

لعَطْشى العلمِ كالعَسلِ المُصَفَّى ... وللعُلماءِ كــــانَ أَجَلَّ بَحْـرَا
وأَعْتَقَ عِلْمُـــه أُسَـرَاءَ جَهْـلٍ ... سَبى إحسانُــــه عَبْدًا وحُـرًّا
شَـهيدًا مـــاتَ مُغْتَرِبًـا غَرِيبًـا ... فكُلُّهُـمْ بحورَ الدَّمـعِ أَجْرى
فكم مـن أَعْيُـنٍ قــد بَيَّضَتْهـا ... دمـوعٌ قـد جـرَتْ بِيْضًـا وحُمْـرَا
فَقَدْنـا قاسِـمَ الخَيْـراتِ عِلْمًـا ... وزُهْـدًا ثـمَّ تقـوًى ثـمَّ فَقْـرَا
وكُنَّـا آمِلِيـنَ بــأَنْ نــراهُ ... يُخَجِّـلُ وجهُـهُ شَمْسًـا وبَـدْرَا
ويُسمِعُنا ورودَ نظـامِ مُلْـكٍ ... سَـميَّ خَليْفَتَيْـنِ[1] أضـاءَ دَهْـرَا
مليـكٍ عـادلٍ يَقِـظٍ أبـيٍّ ... خُبَعْثَنَـةٍ شَجيـعٍ فـاقَ عَصْـرَا
لـه جُـودٌ حـكاهُ الغيـثُ طـورًا ... إذا اسْـتَمْطَرْتَهُ والبحـرُ أخْـرَى
يُحِـبُّ النـاسُ مـا شـاؤوا ولكـن ... لـه قلـبٌ بِبِيـضِ المَجْـد مُغْـرَى
ولكنَّـا سَـمِعْنا أنَّ قَـدْرًا ... مـن اللهِ العظيـمِ لسـدٍّ مَجْـرَى
ولبَّـى داعـيَ اللهِ الـذي لا ... مَـرَدَّ لــه وإنْ خَدَعًـا ومَكْـرَا
لـه خُلْـدٌ وللخُـدَّامِ حُـزْنٌ ... رَأَيْنـا مـوتَـهُ خيـرًا وشـرًّا
فيـا مَـنْ هَمُّـهُ دارُ العلـومِ الْ ... لَتـي أَجْرَيْتَهـا بَحْـرًا ونهـرَا

---

(١) يُشير إلى اسم نظام الملك مير عثمان علي خان.

سَعَيْتَ لِما بَناهُ أبُوكَ سَعْيًا فَحُزْتَ الأجرَ ثم حَوَيْتَ بِرًّا
ولم نَدْفِنْكَ كلَّا بل دَفَنَّا عُلومَ هُدًى فدَفْنُكَ ما أمَرَّا
حَيِيتَ مُجَدِّدًا وبَقِيتَ فَرْدًا وقد تَرَبْتَ شِرْكًا ثمَّ كُفْرًا
بَعُدْتَ عن الذي ما فيه نصٌّ وعمَّا جاءَ ما فارَقْتَ شِبْرًا
وقد أَجْرَيْتَ بحرَ الدَّمعِ منَّا وقد أَوْدَعْتَ في الأكبادِ جَمْرًا
بَقِينا هائِمِينَ بلا أَنِيسٍ كأنَّا لم نَجِدْ خَلًّا وخَمْرًا
تُعزِّينا إذا خَطْبٌ دهانا بفَقْدِكَ قد فَقَدْنا الآن صَبْرًا
تُداوِينا إذا جِئْناكَ مَرْضى حَيارَى في المَسائلِ مِثْلَ سَكْرى
فيُعْطي ربُّنا جَنَّاتِ عَدْنٍ لأحمدَ فائقِ الأقرانِ طُرًّا
وقُدِّسَ سِرُّه من فضلِ ربٍّ رؤوفٍ واسعٍ للعبدِ سِتْرًا
إلهي فاسْقِ من أنهارِ خُلْدٍ دَفينَ اللَّحْدِ أحمدَ حازَ قَدْرًا
وعَفْوًا عن ذنوبٍ قد جَناها وصَفْحًا عنه جاهَرَ أو أَسَرَّا
وأَبْقِ حبيبَ رحمانٍ قُرونًا وقَرْنًا بعدَها وهَلُمَّ جَرًّا

قصيدةٌ

لإمامِ البُلغاءِ ولسانِ الفصحاءِ، قُدوةِ أئمَّةِ الأدبِ فائقِ العُجْمِ والعربِ، ناصرِ العلومِ الأدبيةِ ناظمِ اللآلئِ العربيةِ، أوْحَدِ الوقتِ والأوانِ فريدِ الدهورِ والأزمانِ، سالكِ مَسلكِ حسانَ ﷺ المولى عبد الرَّحمن السِّيُوهَاروي[1]، لا زالتْ علومُه دائمةَ الاستقبالِ، وشمسُه آمنةً من الغروبِ والزوالِ.

---

(١) هو الأديب الشاعر العلاَّمة الشيخ عبد الرحمن السِّيُوهَاروي الديوبندي، وُلِد في سنة ١٢٧٧هـ في بلدة سيوهاره من مديرية بجنور بولاية أتر برديش. درس في مدرسة شاهي عند العلامة المُحدِّث أحمد حسن الأمروهي وغيره. بعد التخرُّج تصدَّر للتدريس ومارس التدريس في عدَّة جامعات، منها: الجامعة الأحمدية في بهوپال، وتتلمذ عليه عددٌ من العلماء. كذلك اختير عضوًا في مجلس الشورى بدار العلوم ديوبند. له أشعار كثيرة في أغراض مختلفة، بين المدح والثناء والتهنئة والرثاء والوعظ. تُوفِّي في سنة ١٣٥١هـ ببهوپال. من أشهر أشعاره:

مَن يدفع الهمَّ عن ذي الهم حينئذ ... ويجمع الشمل حيث الشمل في بددِ
أنت الشَّفيع لمَن قد فاته أملٌ ... عند العزيز الجليل الملك الأحدِ

وكذلك:

ضيَّعتَ عُمركَ يا مغرور في غفلٍ ... قم للتلاقي فأنت اليوم في مهلِ
واستفرغ الدمع ممَّا فات من زمنٍ ... واندب بتوبة على أيَّامك الأولِ
بادر إلى صالح الأعمال مجتهدًا ... فالنجح في الجِدِّ والحرمان في الكسلِ
كن لا محالة في الدنيا كمُغتربٍ ... على رحيل دنى أو عابر السُّبُلِ

يرثي بها فخرَ الهندِ المولويَّ حبيبَ الرَّحمنِ ﷺ مُضَمِّنًا بعضَ الأعجازِ والصدورِ من القصيدةِ المشهورةِ للملكِ الضَّليلِ بتغييرٍ يسيرٍ في مواضعَ رأيْنا إلحاقَها بهذهِ الأبياتِ أولى.

[البحرِ الطويلِ]

أَلِمَّا بِرُبعٍ كان مَلَاَنَ من أُولي ١ كمالٍ ومَأْوًى للعلومِ ومَنْهَلِ
ومَغْنًى خلا عن قاطنيهِ مُعَطَّلِ ألا أَنْشِدا فيهِ بدمعٍ مُسَلْسَلِ

قِفا نَبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ

ألا سَاعِداني في بُكاءٍ مُعَجَّلِ على مَنْ توارَى في ضريحٍ مُجَنْدَلِ
فإنِّي على جَمْرِ الغَضا في تَمَلْمُلِ لعلَّ الجوى يَشفيهِ بعضُ التَّبَتُّلِ

قِفا نَبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ

تَرَحَّلَ عن دارِ العلومِ حَبيبُها ومِقْدامُها في المُنْتدى وخَطيبُها
وللذَّبِّ عنها بالعلاجِ طبيبُها[1] فيُنْشِدُ حَرْفًا في الرثاءِ أَديبُها

قِفا نَبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ

---

(١) أي: حكيم الإسلام محمد طيب ابن العلامة محمد أحمد القاسمي ﷺ، المولود ١٣١٥هـ والمُتوفى ١٤٠٣هـ. رئيس دار العلوم ديوبند لمدة نصف قرن، جامع لخِصال حميدة متعددة، انظر ترجمته المفصَّلة في مقدمة «شرح العقيدة الطحاوية» له.

وإِعْزَازُها[1] يَبْكي ويَبْكي شَفيعُها[2] … وفي حَيْرَةٍ من ذَا المُصابِ سَميعُها[3]

ألا رَاعَهـا مـا رَاعَهـا لا يَروعُهـا … بأكبـرَ مـن هـذا تُـنادي جموعُهـا

قِفا نَبْكِ من ذِكرى حبيبٍ ومَنْزِلِ

وهاجَـتْ رياحٌ قـد تتابعَ رَجْمُها … علـى هـذهِ الـدارِ المُنَسَّـقِ نَظْمُهـا

فمـاتَ حبيـبٌ قـد تَعَنَّـاهُ هَمُّهـا … مَضى أهلُها إلا ولم يَعْفُ رَسْمُها

لِمَا نَسَجَتْها من جَنوبٍ وشَمْأَلِ

بَكى طَيِّبٌ[4] معْ طاهرٍ وبُكاهما … لفُقدانِ مَنْ قد كان يَبْغي رِضاهُما

ويَدْفَـعُ دَهْـرًا عنهمـا مـا دَهَاهُمـا … علـى مِثْلِـه يُبْكَـى فـكان كلاهُمـا

لَدى سَمُراتِ الحيِّ ناقفُ حَنْظَلِ

---

(١) أي: الشيخ المفتي إعزيز علي الأمروهي رحمه الله.

(٢) أي: المفتي محمد شفيع العثماني رحمه الله، المولود ١٣١٤هـ والمُتوفى ١٣٩٦هـ المفسِّر الفقيه المُفتي الأعظم لباكستان. له دورٌ مهمٌ في تأسيس دولة باكستان مع رفقائه، انظر ترجمته في «الشيخ المفتي محمد شفيع العثماني وإسهاماته في فقه النوازل والواقعات».

(٣) أي: الشيخ المولوي عبد السميع رحمه الله، المولود ١٢٩٥هـ والمتوفى ١٣٦٦هـ. كان عالمًا متبحرًا، خطيبًا مُؤثرًا، مُؤلِّفًا جيدًا. له ترجمة «بستان المحدثين» باللغة الأردية، درَّس عدة كتب في دار العلوم ديوبند لمدة ما يقارب ٤٠ سنة.

(٤) أي: حكيم الإسلام العلامة القارئ محمد طيب القاسمي رحمه الله.

مَضى قاسمُ الخيراتِ[١] ياثمَّ رشيدها[٢] تُوُفِّيَ مُحمودٌ[٣] وأحمدُ[٤] بالرِّضَا
حبيبٌ على إِثْرِ الكرامِ قدِ انْقَضى تَعَزَّ ولا تَجْزَعْ بذا حَكَمَ القَضَا
تَرَفَّقْ ولا تَهْلِكْ أَسًى وتَجَمَّلِ

وكان لهُمْ خُلقُ النبيِّ مُعَطَّرًا تَعَطَّرَ منه الكونُ مِسْكًا وعَنْبَرًا
وجاؤوا جميعًا للهدايةِ في الوَرَى يَمُجُّونَ طِيبًا في الكلامِ إذا جَرَى
نَسيمُ الصَّبا جاءَتْ بريَّا القَرَنْفُلِ

وكانُوا حَمَوْا دارَ العلومِ بجِدِّهم وقدْ أخلصُوا لله في صَدْحِ جهْدِهم
غَدَتْ تَرْتقي يومًا فيومًا بعهدِهِمْ هي اليومَ تدعُو القومَ من بعدِ فَقْدِهم
فهلْ عندَ رسمٍ دارسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

وخِدْمَةُ أهلِ العلمِ أكبرُ همِّهِ وتَنْظيمُ دارِ العلمِ من حُسْنِ نَظْمِهِ
وهَمٌّ لدَفْعِ الضَّيْرِ عنها بحثِّهِ على أنَّه ألْقى الزمانُ لحَطْمِهِ
عليهِ بأنواعِ الهُمومِ لِيَبْتَلي

(١) أي: قاسم العلوم والخيرات الإمام الحجَّة محمد قاسم النانوتوي ﷺ.
(٢) أي: الإمام الرباني المُفتي رشيد أحمد الكنكوهي ﷺ.
(٣) أي: شيخ الهند محمود حسن الديوبندي ﷺ.
(٤) أي: العلامة الحافظ محمد أحمد بن قاسم النانوتوي ﷺ.

ومَسْرى خَيالٍ منه بالليلِ زائرًا … يُذَكِّرُني مَسْعاهُ في الخيرِ حاضرًا

فلا تَلْتقي الأجفانُ أَبْكيهِ ذاكرًا … أقولُ إذا ما طالَ لَيْلِيَ ساهرًا

ألا أيُّها الليلُ الطويلُ ألا انْجَلِ

فلمَّا انْجلى لَيْلي وأَصْبَحْتُ شاكيًا … بما بي من الأحزانِ طُولَ نهاريَا

لفقدِ حبيبٍ ثم عُدتُ مُناديًا … أيا ليلُ طُلْ أو لا تَطُلْ لستُ راضيًا

بصبحٍ وما الإصباحُ منكَ بأَمْثَلِ

حبيبُ قلوبٍ قد مضى لسبيلِه … ولم يَبْقَ منه غيرُ ذِكرِ جميلِهِ

فيا حبَّذا إكرامُه لخليلِهِ … وإطعامُهُ للضيفِ عندَ نُزولِهِ

صَفِيفَ شِواءٍ مِعْ قَديدٍ مُعَجَّلِ

وأذْكُرُ عهدًا بالحِمى نحنُ نَجْلِسُ … وتَجْمَعُنا دارُ العلومِ وتَحْبِسُ

وطابَ مَقامٌ بالسرورِ ومَجْلِسٌ … حبيبٌ أنيسٌ لي وأحمدُ مُؤْنِسُ

بدارِ حبيبٍ لا بَدارَةِ جُلْجُلِ

قصائدُه دلَّتْ لأفضلِ مَنْصِبِ … ولاميةٍ في المُعجزاتِ من النَّبي

فيا عَجبًا من حُسْنِها المُتَحَبِّبِ … أقولُ لها شَوقًا وذَوقًا تَقرَّبي

ولا تُبْعِدِينا من جَناكِ المُعَلَّلِ

وعـاداهُ قـومٌ بالجهالـةِ والجَفَـا   وكان حَليمًـا ذا المُـرُوَّةِ والوَفَـا

أنالَ الـذي قـد نـالَ منه وكـم عَفَـا   إذا بلغَـتْ أقوالُـهُ تَصْـدَعُ الصَّفَـا

كجُلمودِ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من عَلِ

سَـقى اللهُ مثـــواهُ بأمطـارِ نَيْلِـه   وأَدْخَلَـهُ وَسْـطَ الجِنـانِ بفَضْلِـهِ

بـرَوْحٍ وجَنَّـاتٍ وقُـرْبِ مَحَلِّـهِ ٥٠ وأرْضٍ بهـا قَبْـرٌ لـهُ ولأَهْلِـهِ

٥١ سَقاها نَميرُ الماءِ غيرَ مُحَلَّلِ

الفهرس

مُعين اللبيب
في جمع قصائد الحبيب